الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليم العالـي و البحث العلمـي

جامعة عمار ثليجـي –الأغواط–

كليــة العوم الانسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

عنوان المذكرة/

مهمة ليون روش داخل دولة الامير عبدالقادر 1832 /1847

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطلبة:

–بن بهاز أحمد

– زايدي مصطفى

تحت إشراف الأستاذ:

علاق محمد

السنـــــة الجامعيـــة

2020–2019

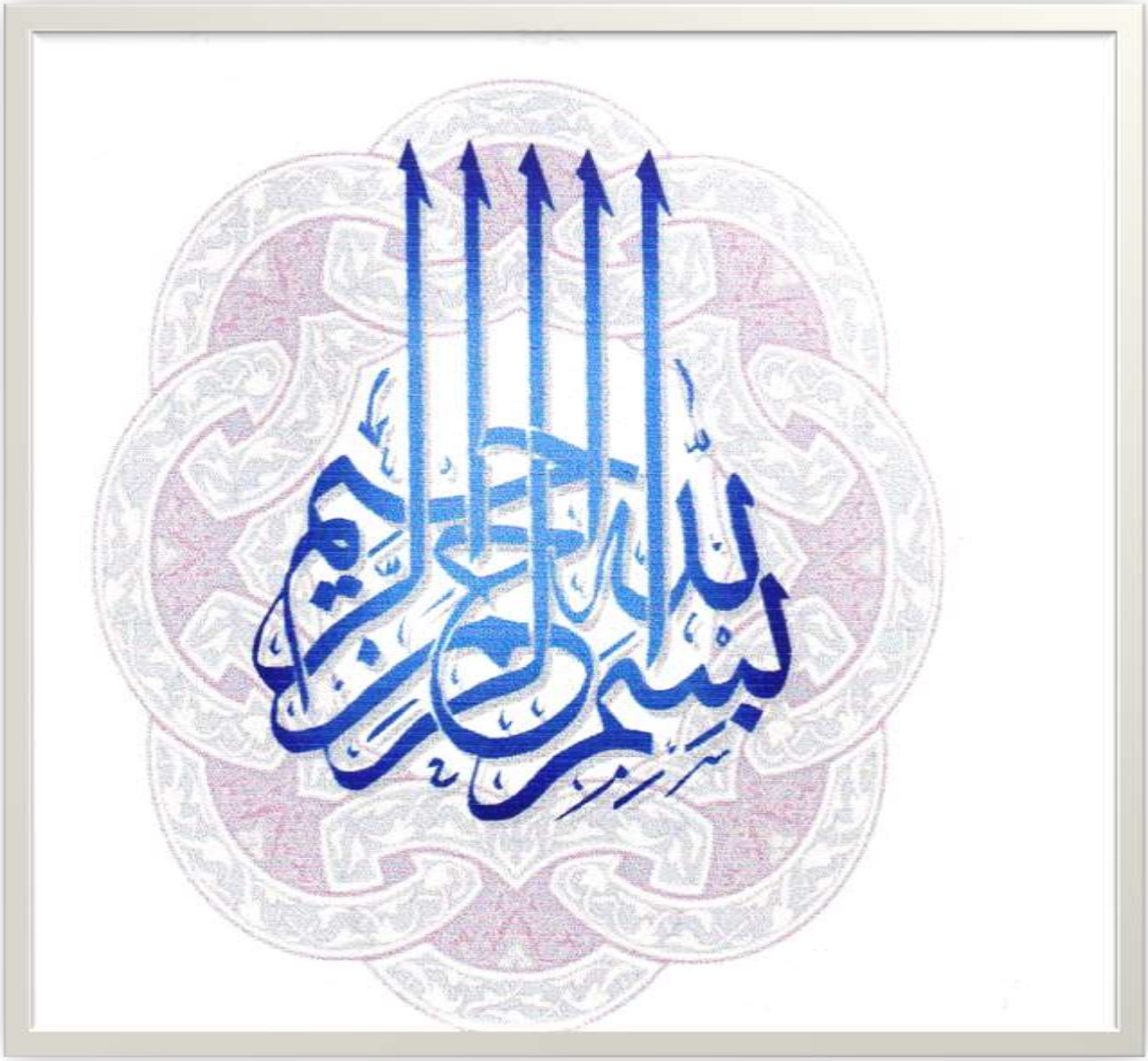
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

ربي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك

...ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك إلى من بلغ الرسالة

وأدى الأمانة نبي الرحمة ونور العالمين..سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

.وقال تعالى ": وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" الإسراء23)

إلى والدي الغالي والذي لم يبخل على بشيء ،إلى أعز ما أملك في الوجود إلى من وهبا لي

أسباب السعادة والراحة وتعب من أجلي وأرشدني إلى البر والأمان ،أهديك أسمى معاني المودة

والاحترام و العرفاء" إليك أبي."

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و إلى معنى الحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها نجاحي وحناني يداوي جراحي إلى أغلى الحبايب " أمي."

إلى كل إخواني وأخواتي وإلى كل عائلتي ومن يعرفني من قريب وبعيد.

و إلى كل من كان سندي وعلمني العطاء

بن بهاز أحمد

إهداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وأجملنا بالعافية

.أتقدم بإهداء عملي المتواضع إلى:

الذرع الواقي والكنز الباقي، إلى من جعل العلم منبع اشتياقي،

لك أقدم وسام الإستحقاق، أنت أبي العزيز أطال الله عمرك.

رمز العطاء ، إلى ذروة العطف والوفاء، لك أجمل حواء،

أنت أمي الغالية أطال الله عمرك.

رمز الصداقة وحسن العلاقة إخوتي .

إلى من هم إنطلاقة الماضي وعون الحاضر وسند المستقبل

زملائي.

إلى كل من مدّ يد المساعدة وساهم معنا في تذليل ما واجهتنا

من صعوبات

زايدي مصطفى

شكر و تقدير

اللهم لك الحمد و الشكر كله و إليك يرجع الأمر كله

نتقدم بأسمى آيات الشكر و الامتنان

و التقدير و المحبة إلى كل من وقف إلى جانبنا و ساعدنا و قدم

لنا يد العون من قريب و بعيد

و نخص بالذكر الأستاذ المشرف " علاق محمد "

الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة و توجيهاته

من بداية هذا العمل إلى نهايته

و كل من ساهم معنا في انجاز هذا العمل

أحمد –مصطفى

قائمةالمختصرات

الكـلـمـة	إختصارها
صفحة	ص
صفحات	ص ص
تقديم	تق
ترجمة	تر
طبعة	ط
طبعة خاصة	ط.خ
مجلد	مج
جزء	ج
هجري	هـ
ميلادي	م
عدد	ع
مجلد	مج

فهرس المحتويات

الرقم	العنـــاوين	الصفحة
01	إهداء	
02	إهداء	
03	كلمة شكر	
04	فهرس المحتويات	
05	مقدمة	
06	الفصل الأول: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر.	
07	1- مولد الأمير ونسبه ونشأته	08
08	2- أوصاف الأمير عبد القادر في الكتابات التاريخية	14
09	3- آثار رحلاته في تكوين شخصيته	19
10	4- توليه الإمارة.	23
11	الفصل الثاني :قراءة تاريخية لتأسيس دولة الأمير عبد القادر .	
12	1- تأسيس الدولة	33
13	2 – معالم الدولة الجديدة	39
14	3- تنظيم الجيش	
15	4- التنظيم الإداري	50
16	الفصل الثالث:مهمة ليون روش داخل دولة الأمير عبد القادر.	
17	حياته	64
18	مؤلفاته :	66
19	ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر	67
20	إنكشاف أمر الجوسسة	70
21	رجوع ليون روش إلى الجيش الفرنسي	71
22	نتائج مهمة ليون رو ش	73
26	الخاتمة	77
27	قائمة المراجع	78
28	الملاحق	79

فهرس الملاحق

العنوان	الصفحة
الملحق رقم 01:صورة الأمير عبد القادر الجزائري	84
الملحق رقم : 02 **شجرة عائلة الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري**	85
الملحق رقم : 03 **خط سير الأمير إلى البقاع المقدسة**	86
الملحق رقم : 04 **نص مبايعة الأمير عبد القادر**	87
الملحق رقم :05**مخطط لعاصمة الأمير المتنقلة" الزمالة**	89
الملحق رقم 06 :خريطة تحدد مجال حدود دولة الأمير عبد القادر	90
الملحق رقم : 07 **جندي من المشاة النظاميين التابعين للأمير عبد القادر**	91
الملحق رقم 08 **:شكل الخاتم الخاص بدولة الأمير عبد القادر**	92
الملحق رقم 09**: صورة للجاسوس الفرنسي ليون روش**	93

لقد مثل تاريخ 5جويلية 1830 ، أكبر النكسات في تاريخ الجزائر حيث شهدت فيه البلاد نزول قوات الحملة الفرنسية بمنطقة سيدي فرج، وبذلك توقيع معاهدة الاستسلام بين قائد الحملة الفرنسية الدوق"ديبرمون "و"حسين باشا "، حاكم الإيالة الجزائرية ، ومنذ ذلك الحين باتت الجزائر تعيش حالة من الفوضى والاضطراب السياسي ، وانهيار الاقتصادي والتفكك الاجتماعي ، والنهب الاستعماري، وعلى إثر تلك الظروف برزت روح المقاومة الرافضة لهذا الوضع بصفة عامة وللعدو بصفة خاصة ، هذا الأخير الذي أخذ يجند كافة موارده وطاقاته ويحشد جميع قواته للاجتياح على المستعمرة ومن أبرز الشخصيات الجزائرية التاريخية التي تصدت للحملة الاستعمارية : الأمير عبد القادر الجزائري، هذه الشخصية الوطنية التي صنعت أمجاد الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي وذلك لما حققته من إنجازات هامة خلال الانتصارات العديدة في مقاومتها ضد فرنسا .و لقد خاض الأمير في تجربة ذكية تمثلت في تنظيم إستراتيجي يقوم على أساس بناء دولة ، تكون لها القدرة في لم وحدة الشعب الجزائري، وحمل أعباء الحرب ورفع راية الجهاد في سبيل الله ، بهدف طرد الفرنسيين من الأرض الجزائرية.

ولقد انبثق هذا من مرجعيتين، تحملان من القوة العسكرية والرمزية ما أهله لذلك ، فإن تمثلت الأولى في مجهوده الحربي الشخصي ، الذي ساهم فيه خلال الفترة الأولى للمقاومة الجزائرية بقيادة أبيه الشيخ محي الدين"، فقد كانت الثانية من قوة الطريقة القادرية ذات الشهرة الواسعة في الأواسط الشعبية والذي كان الأمير عنصر تابع لها .وكما ساهم المحيط الذي عاشه من خلال رحلاته صحبة أبيه إلى بلاد المشرق، لأداء مناسك الحج في تكوين فكرة شاملة عن الحكم السياسي في بلاد المسلمين.

بالإضافة إلى إدراكه أن موازين القوى بين طرفي الصراع : (المجتمع الجزائري،الاستعمار الفرنسي) متباعدة من جهة، وأن البنية التنظيمية لهذا المجتمع المتضرر من تبعات النظام السياسي ، والاقتصادي التركي من جهة أخرى ، لا تأهله لمواجهة جحافل الجيوش الفرنسية الغازية والمدعمة بلفيف أجنبي متعدد الجنسيات إلا بتكوين دولة.

ولقد أجمع المؤرخون على محاولة الأمير عبد القادر في تأسيس هذا البناء، على أنها محاولة ناجحة بحيث أنها تتوفر فيها كل الشروط ومقومات الدولة، بالإضافة إلى أنه ركز جيدا على الجوانب السياسية، ويكفيه شرفا ومصداقية اعتراف عدوه له بهذا الكيان السياسي. و انطلاقا من ما سبق نجد أن الأمير عبد القادر اهتم بدولته وتنظيمها اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا، وعسكريا، حتى تظهر في بناء متكامل الجوانب.

و لهذا كان احتلال مدينة الجزائر سنة 1830م ،مؤشرا لبداية التحدي الذي هز الجزائريين فعلا في المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر و التي دامت 15سنة.

إن الدولة الفرنسية الداعية ببنود الثورة الفرنسية ،و التي تزعمها نخبة من المفكرين ،و المثقفين من بينهم **ليون روش** ، و تحقيقا منها لأهداف التوسعية على حساب المقاطعات الإفريقية ، و الجزائر على وجه الخصوص ،قامت بزرعه كجاسوس داخل دولة الأمير عبد القادر لرصد كل تحركاته .

- **أهمية الموضوع:**

تمثلت أهمية موضوعنا هذا في كونه يمثل مرحلة بالغة الأثر في تاريخنا المعاصر، بظهور أولى المقاومات الشعبية التي شهدتها الجزائر بقيادة المحارب والفارس الأمير عبد القادر ، وإضافة إلى معرفة مهمة ليون روش وتداعياتها داخل دولة الأمير عبد القادر.

و لتسليط الضوء حول مهمة ليون روش داخل دولة الأمير عبد القادر يمكننا صياغة الإشكال الخاص بهده الدراسة كالآتي :

- ما هي مهمة ليون روش داخل دولة الأمير عبد القادر؟.

و لتسهيل مسار الدراسة كان لابد من تفكيك هذا الإشكال الخاص إلى أسئلة جزئية:

- من هو الأمير عبد القادر؟ وما هي آثار بيئته ورحلاته في تكوين شخصيته ؟.
- كيف استطاع الأمير عبد القادر في ظل الاحتلال الفرنسي تكوين دولة، تكون طرفا في المعادلة السياسية في الجزائر؟.
- ما هي أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر و فيما تتجلى تداعيات هذا الاحتلال؟.

- **المناهج المتبعة:**

و لدراسة الموضوع دراسة علمية تتماشى وطبيعته يقتضي بنا توظيف عدة مناهج لمعالجة كل الجوانب المتعلقة به

المنهج التاريخي:

كأصل عام في سياق وعرض بعض الوقائع التاريخية و أحداثها وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا كرسم حدود الدولة حسب فترات زمنه معتبرة ، ووصف بعض الهندسيات العمرانية.

المنهج التحليلي:

وذلك من خلال دراسة المادة العلمية وتحليل الوقائع ونقد بعض الجوانبفي البحث حيث احتجنا مثلا إلى تحليل نمط الدولة التي حاول الأمير تأسيس كيانه السياسي عليها إذ كانت تعود في أصولها إلى الإقتداء بدولة النبي) ص (انطلاقا من بيعته إلى مجلس الشورى وإلى عقد لواء الجهاد وإرساء مبدأ العدالة في القضاء وأيضا بعض الإستراتيجيات العسكرية التي عمد الأمير إلى بناءها.

- **خطة الدراسة:**

ولإنجاز هذه الدراسة ارتأينا أن يكون تقسيمها لأربعة عناصر وهذا حسب ما تقتضيه خطوات البحث العلمي انطلاقا من مقدمة إلى الفصلين المحورين ناهيك عن الفصل التمهيديه لنختم هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج العامة المتحصل عليها فجاء تفصيل هذا التقسيم على النحو التالي:

أ -المقدمة: ما تناولناه هو التعريف بالموضوع وأهميته وكذلك الأسباب التي دفعتنا إلى اختياره والهدف منه إلى طرح الإشكالية العامة مع الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه المذكرة إضافة إلى منهج البحث والصعوبات التي واجهتنا في الموضوع المدروس.

ب– الفصل الأول:

تطرقنا فيه إلى نبذة عن حياة الأمير عبد القادر، وما يحمله هذا المجال من عناصر خصصنا لكل جانب منها عنصر تناولنا في العنصر الأول كل ما يتعلق بمولد و نسب و نشأة الأمير لننتقل إلى العنصر الثاني والذي تضمن أوصاف الأمير عبد القادر في الكتابات التاريخية، أما عن العنصر الثالث فجاء فيه آثار رحلاته في تموين شخصيته ،أما آخر عنصر فتمثل في توليه الإمارة من خلال معرفة ظروف مبايعة ظروف الأمير عبد القادر

ج - الفصل الثاني:

حاولنا في هذا الفصل أن نعطي صورة عامة عن دولة الأمير عبد القادر، فكانت البداية بتأسيس الدولة وما يحمله هذا العنوان على مجموعة من النقاط تضمنت أربعة عناصر تناولنا في العنصر الأول مفهوم الدولة كمصطلح ويليه الأمير يصنع دولة على أسس اسلامية، ثم دور الطرق الصوفية في مساندة الأمير،و هياكل الدولة الجديد ، أما عن العنصر الثاني فلقد خصصناه لتحديد معالم الدولة الجديدة من حدود وتضاريس وعواصم و علم .لنشرح في العنصر الثالث الترتيب الإداري لهذا التنظيم وما يحمله هذا الجانب من مجموعة المقاطعات الإدارية وكذلك المجلس الشورى الأعلى كجهاز حكومي، ويليه الجهاز الوزاري لنختم هذا العنصر بالتنظيم القضائي كجهاز وسلوك داخل الدولة .أما آخر عنصر في هذا الفصل فقد ضمناه وصف التنظيم العسكري للدولة بما فيه من تجهيز القوة العسكرية القوة الدفاعية عنها وأقسام الجيش والرتب والمرتبات الخاصة بالجنود ومصالح الجيش.

د -الفصل الثالث:

تكلمنا في هذا الفصل عن مهمة ليون روش داخل دولة الأمير والتي تمحور عليها عملنا إنطلاقا من : حياته ، ومؤلفات إنتقالا إلى دخوله جيش الأمير عبد القادر ، وانكشاف أمره ، بعد ولوجه إلى الجيش الفرنسي خاتمين هذا الفصل بنتائج المهمة.

هـ -الخاتمة:

ولقد جاءت مشتملة حسب ما يقتضيه الدور الوظيفي للخاتمة، إذ تضمنت أهم النتائج المتحصل عليها من دراسة وصفية وتحليلية، بموضوع البحث و المتمثل في مهمة" ليون روش "داخل دولة الأمير عبد القادر.

وكانت إجابة على التساؤلات الفرعية المطروحة، ولمزيد من الإثراء فقد أرفقنا الدراسة بملحق خاص بخرائط وصور ومخططات.

- **صعوبات الدراسة:**

كأي دراسة علمية تبحث في الحقائق التاريخية، وكأي باحثين صادفتنا صعوبات أثناء إنجازنا لهذا الموضوع والمتمثلة في :ندرة المادة العلمية في المكتبة الجامعية الخاصة بالتاريخ الثقافي للجزائر باعتبارها أقرب منبع للمعرفة، وفي المقابل غزارة المعلومات في جانب واحد من الموضوع المدروس، مما صعب علينا موازنته. ولكن رغم هذا فقد وفقنا المولى عز وجل في الإلمام بالبحث، وإعطائه ولو القليل من حقه في الدراسة .

لا يمكن تحديد ملامح صورة الأمير عبد القادر،(**أنظر الملحق رقم 01**) ، أديبًا وشاعرا دون التعرف إلى العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته، من خلال آراء الدارسين، ويتفق الباحثون على أن الأمير عبد القادر في حياته، قد مر بثلاث مراحل متميزة بخصوصيتها وأحداثها، الأولى قضاها في طلب العلم وتعرف فيها على الأوضاع العامة للبلاد العربية من خلال الحج، والثانية عاشها في الجهاد ومقاومة العدو، أما الثالثة فقد قضاها في ديار الغربة أسيرا في فرنسا ،مجاهدا محتبسًا في بورصة ودمشق، فبعد التطرق للمدخل وأهم الأوضاع العامة بهدف معرفة الظروف المحيطة للأمير عبد القادر، والبيئة التي كان يعيشها، بحيث تناولنا في هذا الفصل أربع مباحث تحدثنا فيها عن نشأة الأمير ونسبه وأوصافه ، وأهم رحلاته التي قام بها أثناء زيارته للبقاع المقدسة ، و أثرها في تكوين شخصيته، مما كان حافزا لمبايعته أميرا للبلاد.

5- مولد الأمير ونسبه ونشأته

1- مولده :

اتفق المؤرخون على اعتبار سنة 1807 تاريخ مولد الأمير.[1] بينما البعض منهم يرى أنه ولد في 1808م ،في 15 رجب لسنة 1222 ، وكان رابع إخوته، بمقر أسرته بالقيطنة الواقعة على سفح جبل إستانبول على الجانب الأيسر لوادي الحمام، وعلى بعد حوالي 20 كلم عن مدينة معسكر. [2]

ويذكر هنري تشرشل، أن عبد القادر ولد في شهر ماي من نفس السنة التي ذكرها (1807 م)، في القيطنة، في منطقة غريس التي تقع في إقليم وهران ، وكان له موضعًا خاصا لحب والده له ، وحتى عندما كان في الرضاعة، فإن الوالد كان يصر دائمًا على اخذ الطفل إلى حضنه.[3]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2000 ، ص155 .

[2] نفسه، ص155 .

[3] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر :أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، ص. 39 .

وهو عبد القادر بن محي الدين الحسين، مجاهد وفقيه ، وشاعر وأديب ، ورجل دولة جزائري ، حفظ كتاب الله ولم يتجاوز الثانية عشر من عمره ،وتلقى مبادئ العلوم الإسلامية واللغوية على يد والده الشيخ محي الدين، كما تدرب على الفروسية واستعمال السلاح.[1]

2- نسبه:

يعود نسب الأمير عبد القادر إلى الأدارسة ولذلك فغالبا ما يشار إلى نسبه الشريف غير أنه كان لا يعير ذلك اهتماما لأن اكتساب الاحترام والتقديس نابع من السلوك لا من النسب، وفي هذا الصدد يقول عبد القادر :«لا تسألوا أبدًا ما هو أصل الإنسان وفصلهن بل اسألوا عن حياته وأعماله وشجاعته ومزاياه وعندئذ تدركون من يكون».[2]

وكان يستوحي ذلك من روح الإسلام الذي سوى بين البشر، مهما كان أصلهم وان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : «كلكم من آدم وآدم من تراب، لا فرق بين عربي وعجمي إلاّ بالتقوى».[3]

ومن المؤرخين من أرجع نسبه إلى" الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب".[4]

وكان الأمير عبد القادر بعد سنوات من كمال حيويته ورجولته، أظهر شجاعة فاقت كل شجاعة، كان دائمًا أول من يقود إطلاق النار، أو يغطي الانسحاب، كما أجاد القراءة والكتابة وهو في سن الخامسة من عمره ، وتمكن من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وهو في سن الثانية عشر.[5]متمكنا من قواعد اللغة وفقهها، وهو الرجل المجاهد العالم الشاعر الفقيه.[6]

انتسب عبد القادر إلى قبيلة هاشم العربية الأصيلة، ومكانة أسرته الشريفة في منطقة غريس، حيث كان جده" سيدي مصطفى بن محمد" ، المعروف بسيدي قادة موضع كبار وأجلاء من رجال قبيلة هاشم،

---

[1] بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصرة" 1989 - 1830 " ، ج 1 ، دار المعرفة، الجزائر،200 ،ص71

[2] ا ربح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2 ، دار المعرفة، الجزائر، 2010 ، ص134 .

[3] نفسه، ص134 .

[4] محمد مراد بركات ، الأمير عبد القادر الجزائر " المجاهد الصوفي" ، الجزائر، ص08 .

[5] شارل هنري تشرشل :المصدر السابق، ص،ص 39 .،40

[6] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ج 3 ، ط 2 ، ص170 .

كما كان أبوه الشيخ محي الدين، رجل دين ينتسب إلى الطريقة القادرية ، يتبرك به سكان تلك الناحية ويرجعون إليه في أمورهم، وحتى عند احتجازه بوهران من طرف الباي حسان، ظل الناس يتوافدون عليه ويعرضون عليه خدماتهم، ويلتمسون منه الدعوات الصالحة، ونفس المكانة حظي بها ابنه عبد القادر عندما أصبح شابًا، واكتسب ثقافة دينية واتصف بالورع والتقوى، وقد تداولت بعض الأقاويل بين عامته بمنطقة سهل غريس عن مدى تعلق الناس بعبد القادر واعتقادهم في قدرته على إصلاح أمورهم ومفاد هذه التنبؤات أن حكم البايلك سيزول.[1]

وقد ذكر أن الأمير عبد القادر قال لتلميذه العايش :«أنا عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار، بن عبد القاضي، بن أحمد، بن محمد، بن عبد القوى، بن علي، بن أحمد، بن عبد القوى، بن خالد، بن يوسف، بن بشار، بن محمد ،بن مسعود، بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوى بن أحمد، بن محمد، بن إدريس أحد أبناء عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن، حفيد النبي صلى الله عليه وسلم، وابن علي وفاطمة، وحفيد أبي طالب بن هاشم، أنا عبد القادر بن محي الدين وسليل النبي صلى الله عليه وسلم، المرسل والمبعوث من الله ،وهو نفسه بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، إن أسلافي من الجانبين من الأشراف ،ساكني المدينة تفضيلا، فأسلافي في الأمجاد كانوا مباشرين للنبي صلى الله عليه وسلم».[2]

3 - بيئته و أسرته :

تقطن أسرة محي الدين، في قرية على الضفة اليسرى لوادي الحمام، على مسافة حوالي 20 كلم، غربي مدينة معسكر، كانت الأسرة،(انظر الملحق رقم 2)، تعيش مما تدره من الأراضي الزراعية، التي تملكها

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج 2 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ، ص232 .

[2] برونو إيتيين، عبد القادر الجزائري، تر :مشيل خوري، ط1 ، دار عطية، لبنان، 1997 ، ص27 .

بسهل غريس، ومن العوائد التي يقدمها الأتباع والأنصار، والتي تتكون من نقود ومواد أولية مثل : الصوف والقمح .[1]

وهي من سلالة الحسني القرشي، سليل قبيلة لها سلطة روحية ،تتمتع بنفوذ واسع، وقد جرت الأسرة على تقديم الضيافة لعابري السبيل ،والمساعدة للمعوزين، فاشتهرت بالكرم إلى جانب شهرتها بالعلم ،والتقوى في قبيلة بني هاشم، وخارج حدود هذه القرية وكذلك كان سكان المنطقة يقصدون كبار الأسرة، لفض نزاعاتهم وللتحكيم في خصوصياتهم، وقد كان محي الدين رئيس الأسرة متزوجا بأربع نساء وهن، وريدة ،ولدت له " محمد السعيد ومصطفى " والزهراء، التي أنجبت له " عبد القادر وخديجة " وفاطمة، ولدت له " حسين " وخيرة ،أنجبت"المرتضى". [2]

كانت عائلة الأمير عبد القادر،تعرف بالجزائر بعائلة الحسين وكان، بوقع عبد القادر بن محي الدين الحسني ثم تطور إلى الأمير عبد القادر الجزائري، خاصة في المشرق العربي، وصارت عائلته تعرف بالجزائري وشاركتها في هذا اللقب عدة عائلات جزائرية أخرى ، أطلقه عليها المشارقة وبرزت من عائلة الأمير، عدة شخصيات ملأت الساحة والمشاهد الثقافية ،والسياسية ،والعسكرية ،أمثال ابنه علي بن عبد القادر وغيره من الأبناء.[3]

كان جد الأمير مصطفى بن المختار، قد أخذ القادرية على عبد القادر المشرقي، حين زار بغداد، في طريقه للحج ، تبرع بماله الخاص لتوسيع" ضريح عبد القادر الجيلالي "، أصبح يعرف بزيادة الشيخ

[1] محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين محمد، ج 1 ، الجزائر، ص54 .

[2] إسماعيل العربي، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط 2 ، الجزائر ، ص37 .

[3] نادية طرشون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007 ، ص309 .

مصطفى بن المختار، كما أسس زاوية بوادي الحمام في 1791 "م " ، وتوفي هذا الرجل الجليل في "1212هـ – 1798 م".[1]

أما بالنسبة لوالده محي الدين، الذي ولد في "1190 هـ - 1777 م" ، بوادي الحمام، قد درس على أبيه ،وورث عنه مشيخة الزاوية، فكثر عليه طلاب العلم ، إشتهر بسداد الرأي وغزارة العلم ، قاوم الظلم في عهد الباي حسن بن موسى، توفي والد الأمير في "1249هـ - 1833 م " فكلف إبنه عبد القادر في رئاسة الزاوية. [2]

ومن أبرز أبناء عبد القادر ،هو علي وهو الابن السادس، كان عمره في عام وفاة والده 1883،ستة وعشرون عامًا، عرف بنشاطه السياسي والدبلوماسي ،والعسكري، في البلاد العثمانية وخصوصا بلاد الشام، باعتباره مبعوثا رسميا من طرف الدولة العثمانية إلى ليبيا ،لتنظيم المقاومة فيها ضد الغزاة الإيطاليين. [3]

أما زوجته فكانت إمرأة وديعة، لطيفة جميلة، مكتئبة تعيش في عزلة، ولا تهتم بغير أطفالها، وزوجها يحترمها. ووالدته الزهرة هي إمرأة مسلمة، كان سيدي محي الدين ، يفضلها على غيرها من نسائه، لهدوئها ورزانتها، كثيرا ما تحدث عنها من رآها من الأوربيين، بإعجاب كبير، وكانت تعرف أوضاع البلاد وظروف ابنها عبد القادر، مع الكفار معرفة جيدة، دون أن تخفي كرهها الشديد لهم، وقد أكسبها عطفها على المرضى ،والفقراء ،حب جميع التعساء والأشقياء.

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي للنشر، لبنان، 1995 ، ص،ص 244 . 245،

[2] نفسه، ص245 .

[3] طرشون نادية، المرجع السابق،ص310.

وللأمير عائلة تتكون بالإضافة إلى زوجته، من بنتين إحداهما ،تقرب من سن البلوغ، والأخرى في الثالثة من عمرها، أما ابنه فقد توفي وهو في الرابعة من عمره، وذلك في شهر أكتوبر سنة 1837 م، وكانت الأسرة الخاصة، مكونة من زوجة وبنتين وابن قبل سنة 1837 م.

أما كنيته، قد كان الأمير، يكن بعدة ألقاب متعددة ،قد أطلقت عليه في مناسبات شتى بعضها لأزمنة طيلة حياته، وبعضها الآخر انتهى بانتهاء الفترة الزمنية ، التي يرمز إليها ، وذلك اللقب أو ذاك، فمن ألقابه : « أمير المؤمنين، ناصر الدين، الأمير ، الجزائري ، إبن رشد، إبن خلاد» .

4- مشارب دراسته:

ابنه محمد باشا عن العلوم التي درسها: « كان قد تلقى تعليما عربيا، دينيا أصيلا ، أخذ الفقه عن والده ،وغيره من العلماء، ورحل إلى وهران ، وأخذ من علمائها وكان حافظًا للكثير من العربية، والقدر الوافر، من صحيح البخاري ،عن ظهر قلب مجاز فيه عن والده، وسمعه من الشيخ الإمام المحدث ،أبي أحمد عبد الرحمان الكزبري، بدمشق والشام أيام إقامته فيها، صحبة والده ،وأخذ أيضا عن الإمام ضياء الدين، مولانا الشيخ النقشبندي السهروردي ، وكان كثير التردد إليه وبرع في علوم الشريعة والحقيقة[1]».

من خلال التعرض للملامح العامة لنشأة الأمير عبد القادر نجد أن:

- كانت ولادة الأمير في سنة 1808 م بالقيطنة في منطقة غريس الواقعة في إقليم وهران.
- يعود نسب عبد القادر إلى الإمام الحسين، بن علي بن أبي طالب، وهو نسب شريف، يعود للنبي صلى الله عليه وسلم، من قبيلة هاشم العربية الأصيلة.

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تع :ممدوح حقي، ج 2 ، ط2 ، دار اليقظة العربية، 1964 ،ص932 .

- كان لأسرته دورا فعالاً، في تكوين شخصيته، حيث اشتهرت بالعلم والتقوى، إلى جانب الكرم والعطاء، وكان جده صاحب أول زاوية قادرية في الجزائر.
- أخذ الأمير عن والده مختلف العلوم الدينية ،من فقه وتشريع، إضافة للأخلاق الحسنة المرموقة.
- لقب عبد القادر، بعدة ألقاب وكانت كنيته الجزائري نسبة لوطنه الأم، أحب الألقاب إليه خاصة في فترة المنفى.
- تلقى الأمير عبد القادر، تعليمًا عربيا أصيلا دينيا ،وانتهل من العلوم المختلفة، القدر الوافر خاصة لما كان في المشرق العربي صحبة والده محي الدين.

6- أوصاف الأمير عبد القادر في الكتابات التاريخية

حظي الأمير عبد القادر، بوصف من العديد، ممن إتصل بهم أو تعرف إليهم، أو تعامل معهم ،فكانوا في مجملهم يشيدون بخصاله، ويفتخرون بسجاياه ،ويقدرون مواقفه ويعتزون ببطولاته، وهذا ما يتطلب منا في إطار رسم صورة صادقة، ومعبرة لهذه الشخصية المتميزة، بالرجوع إلى كتابات هؤلاء والاستشهاد بها.

1- وصف ملامحه :

فصل شارل هنري تشرشل، في ذكر أوصاف الأمير حيث ذكر«

: إن ملامحه التي كانت من أصفى الطابع الكلاسيكي، كانت جذابة لوسامته المعبرة التي كدت تكون جمالا أنثويا، فأنفه يتوسط وجهه في حجم وسطي وفي شكل رائع، كان بين الأنف الإغريقي والروماني، وشفتاه المنحوتتان بدقة والمضغوطتان

الأمير عبد القادر، مربوع القامة ،معتدل الجسم، أبيض اللون أسود الشعر، كث اللحية، أقنى الأنف، أشهل العينين، أضبط بحيث يستعمل يساره لأداء ما يمكن من عمله بيمينه متواضعا ومتئدا في مشيته.[1]

وقد أعطاه " ليون روش"، الذي اقترب منه كثيرا هذه الأوصاف : « لونه الأبيض ، له نوع من الشحوب ، الباهت وجبهته عريضة ومرتفعة، له حاجبان أسودان فوق عينين زرقاوين، وانفه رقيق ومنعقف برشاقة ،وشفتاه رقيقتان وغير مزمومتين ،ولحيته السوداء والحريرية تحيط بصفة خفيفة ،وجها

[1] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص108 .

بيضوي الشكل ومعبرا، هناك وشم صغير بين الحاجبين، يبرز صفاء جبهته ويده النحيلة والصغيرة،لها بياض متميز وتعبرها عروق زرقاء،وأصابعه طويلة ورقيقة تنهيها أظافر وردية تم تقليمها بصفة جيدة».[1]

« كما انه رجل عادل يحترم تعاليم دينه، وان المسلمين يخضعون له بسبب احترامه الشديد لتعاليم الإسلام وسيره على نهج الخلفاء الراشدين».[2]

ففي السابعة عشر ،اشتهر الشاب عبد القادر بين زملائه بقوته العجيبة ونشاطه الواضح، فهيئته المتكاملة المتناسقة ،كان طوله حوالي 5 أقدام، وتركيب عظامه وصدره العريض الغائر، كلها قد شكلت إطارا جسمانيا لا يعرف الكلال وقادر على احتمال أشق الأتعاب.[3]

وهو جهوري الصوت، قوي اللهجة، أجش النغم، وهو مع ذلك كان يتصف بالبشاشة والتأدب ولين الطبع، ويفضل الابتعاد عن مظاهر التكلف والفخامة والأبهة ويميل إلى حياة التقشف والبداوة وهذا ما جعله يفتخر بها في شعره[4]، وملابسه بسيطة كأي جزائري، من حايك عادي إلى برنس أبيض، كانت بشرته بيضاء، أكسبتها شمس المعارك اللون البرونزي، لحيته كثيفة سوداء وفي عينيه بريق الذكاء والقوة.[5]

كما ذكر عبد الرحمان بن الجيلالي بأنه: « كان معتدل القامة، يميل إلى القصر ممتلئ الجسم، أبيض البشرة بارز الجبهة، واسع الفم أسود الشعر، كث اللحية ذابحة في صوته عالي الهمة كريم النفس، حازما حليما متحمسا في جميع مواقفه».[6]

---

[1] محفوظ قداش، ج ا زئر الج ا زئريين " تاريخ الج ا زئر" 1954 – 1830 ، تر :محمد المع ا رجي، طبعة خاصة، المؤسسة الوطنية، الج ا زئر، 2008 ،ص. 85 .

[2] يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الج ا زئر والمغرب" 1847 - 1832 " ، المؤسسة الوطنية ص .26

[3] محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين محمد، ج 1 ، الجزائر ، ص34

[4] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 180 .،181

[5] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الج ا زئري حياته وفكره " فكرة الأمير عبد القادر الج ا زئري" ، ج 3 ، تر :أبو القاسم سعد الله، ط 1 ،دار الوفي، الج ا زئر، 2002 ، ص54 .

[6] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الج ا زئر العام، ج4 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الج ا زئر، 1982 ، ص،ص 62 .،63

أما توماس دوماتوار فإنه يصف الأمير: « أنه رجل متوسط القامة ،ولكن هيئته جيدة، لونه أبيض وجلده شاحب، ولحيته السوداء كثة ولكنها قصيرة، أما جبهته فإنها عارية ومحدبة، وعيناه خضراوان وصافيتان جدا وأنفه المنعقف بكيفية جيدة وله فم جميل، وبصفة عامة فإن وجهه بشوش وهو كله لصالح صاحبه، وصحته التي يقال عنها إنها مضطربة تبدو في حالة جيدة ولا أجد له المظهر الصوفي الذي يوصف به».[1]

بالإضافة إلى كونه متصوفا في سلوكه الديني متصلبا في الحق محبا للعلم والعلماء فقد وصفه لنا المؤرخ الفرنسي أوغستان برنارد "Augustin Bernard ": «أظهر الأمير على الرغم من من أنه إبن الزوايا والطرق حنكة سياسية كبيرة وب ا رعة عسكرية وكان يتمتع بصفات تدل على أنه خلق ليحكم فكان بسيطا في لباسه متواضعا في معشره، أنيقا جميلا وفارسا شجاعا» [2].

صاحب تقوى وصبر ورجل علوم عسكرية وأدب وثقافة علاوة على أخلاقه وذكائه وعدله[3].

أما سي قدور بن رويلة فقد أعطانا أحسن وصف معنوي للأمير مفاده : « الحاج عبد القادر، لا يحب الدنيا فهو يبتعد عنها بقدر ما يسمح له بذلك، إنه يتغذى بقناعة ويلبس دائما أشياء بسيطة ويقوم الليل للدعاء لنفسه ولعباد الله القدير، لا يريد إلا الصلاة والصيام ليكفر عن ذنوبه، إنه يخشى الله وهو مؤدب على جميع المسلمين وهو لا يغادر المسجد إلا نادرا».[4]

2مصادر تعلمه الديني :

كان الأمير عبد القادر بن محي الدين ،من عائلة دينية تنتمي إلى الزاوية القادرية [5]وقد أبدى الأمير منذ نعومة أظافره نباهة ونجابة جعلت والده يفضله عن غيره من أبنائه.

حيث نشأ عبد القادر بين أحضان والديه وتربى بين عشيرته وقومه سالكا مسلك آبائه وأجداده في

---

[1]محفوظ قداش، المرجع السابق،ص85 .

[2]عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، ج 4 ، المرجع السابق، ص63 .

[3]ا رابح لونيسي، وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1 ، دار المعرفة، الجزائر، 2010 ، ص127 .

[4]محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، المرجع السابق، ص. 86 .

[5]عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، الج ا زئر في مرآة التاريخ، ط1 ، مكتبة البعث، الج ا زئر، 1965 ، ص179 .

الأخذ بأسباب الثقافة الإسلامية ،والحضارة العربية، جامعا بين آداب الدرس، وآداب النفس ،والتفنن في أنواع الفتوة، والفروسية .[1]

كان يقرأ ويكتب وعندما كان في الخامسة من عمره، وقد أصبح طالبا عندما كان في الثانية عشر.[2]

في الثانية عشر من عمره، أصبح طالبا وفي الرابعة عشر ،حافظا ثم أنهى دراسته بالحج إلى مكة المكرمة، الذي لم يكن في تلك الحقبة تتميمًا لواجب ديني فقط بل أيضا وسيلة لإتمام التربية الفكرية في المشرق.[3]

وفي سن مبكرة حفظ القرآن الكريم ،وتعلم مبادئ العلوم اللغوية والدينية، كما تدرب على ركوب الخيل وكذلك تلقى الحساب والجغرافيا والتاريخ على يد " الشيخ أحمد بن طاهر ".

لما بلغ الأمير الرابعة عشر من العمر، أرسله والده إلى مدينة وهران لإتمام تعليمه في مدرسة تحت إشراف "الشيخ أحمد بن خوجة " وبعد سنة عاد إلى القيطنة ليواصل تعليمه هناك[4].

كان والده هو الذي تولى نشأته بيده، ثم سلمه إلى علماء غريس، فأخذ عنهم واستصحابه والده إلى وهران حينما وضعته الحكومة التركية تحت الإقامة الجبرية هناك، فاغتنم عبد القادر فرصة وجوده بوهران وأخذ يدور على مجالس علمائها فيحضر دروسهم، ويتلقى عنهم ما لم يكن له بعلم وهو آنذاك لا ي ا زل غلاما مراهقا.[5]

لاحظ الأمير عبد القادر التصرفات الجائرة للحكام الأتراك ورجال المخزن، سواء بمعسكر أو وهران ،وقد عاين ذلك عن قرب، عند إقامته بوهران أثناء تلقيه العلم بمدرسة " أحمد بن خوجة"، مع بعض الأعيان وموظفي البايلك، قبل أن يعود إلى مسقط رأسه في 1823 ، وكذلك عند استقرا ره بدار التاجر المغربي بوهران مع أبيه [6]، وذلك يعني انه أصبح يستطيع ترتيل القران عن ظهر قلب، وفي هذه المرحلة بدأ

---

[1]عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، ج 4 ، المرجع السابق، ص61 .

[2]شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص39 .

[3]عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر :سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ص34 .

[4]إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص38 .

[5]عبد الرحمان محمد بن الجيلالي، المرجع السابق، ج 4 ، ص62 .

[6]ناصر الدين سعيدوني، د ا رسات وأبحاث في تاريخ الج ا زئر، المرجع السابق، ص233 .

يعطي دروسا في جامع الأسرة حيث كان يعقب ويفسر أصعب وأعمق الآيات والشواهد، لقد كان طموحه الأكبر في شبابه هو أن يصبح مرابطا مثل والده .[1]هذا ما جعله يفكر مليا في اتخاذ تدابير جدية للتعامل معهم.

1- خصاله :

أُشتهر عبد القادر في شبابه بالفروسية، فكان فارسا متحمسا وكم من وقعة خاضها فخرج منها ظافرا منتصرا، وقد أبان قدرته وشجاعته الحربية منذ ضعضع أركان غزاة الجزائر من الفرنسيين[2].

درس الأمير عبد القادر تحولات البلاد الشرقية ونظمها ولفت انتباهه ما شرع فيه آنذاك محمد علي من إصلاحات في البلاد، وتفتحت أبصاره على آفاق أخرى، خارج البلاد وعرف الأمراض التي يعانيها المجتمع الإسلامي، في كل ناحية وفي كل ميدان[3].

نشأ الأمير، في معهد العلوم والتقوى، واعتنى بالتحصيل جد الاعتناء حتى تفوق في الأدب والفقه والتوحيد، والحكمة العقلية وكان مع ذلك لا يهمل المثاقفة بالسلاح، وركوب الخيل، بحيث نبع من جهة عالما فاضلا، ومن جهة ثانية مثقفا فارسا فجمع بين السيف والقلم[4].

وبذلك تكونت لديه مكتبة ضخمة، كانت هي ثروة الدنيوية، وقد اتسمت هذه الهواية في مرافقته طوال حياته[5].

وخلاصة لما سبق نستنتج، أن الأمير عبد القادر شخصية تجلت بها عدة صفات حسنة تؤهله لان يكون قائدا، وإماما فكل تلك الصفات جعلت منه قائدا مؤهلا لبناء دولة وطنية عصرية ،إداريا وثقافيا، وكونها تكوينا عقائدي ،وعسكري وسياسي ،لأنه كان الأول من بين المقاومين الثوريين الجزائريين، الذي طالب بوحدة الجزائريين، ووحدة التراب الوطني، حيث قام بعدة رحلات كان لها أثرها العميق في نفس الشاب،

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص،ص 39 .،40

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج 4 ، ص، ص 61 .،62

[3] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص182 .

[4] أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995 ، ص159 .

[5] بسام العسيلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط1 ، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980 ، ص25 .

عبد القادر الذي أخذ في الاعتزال عن الناس والانصراف إلى العبادة وهذا ما سنتطرق له في المبحث الموالي.

7- آثار رحلاته في تكوين شخصيته:

مما لا شك فيه أن الأمير عبد القادر، من بيت جزائري عريق في العلم والسؤود والصلاح، بيت سيدي قادة بن المختار ،والشهير بأوطان غريس، الآخذة بأعلى سنام المجد وسمو المحتد من القبيلة العربية الذائعة الصيت المعروفة باسم " الحشم ، "أكبر عشائر سهل غريس، وأشدها وأعظمها سلطانًا وقد كان والده الشيخ محي الدين من أكبر رجال العلم والدين.

1- رحلته إلى مصر :

حج الأمير وهو صغير السن مع والده(انظر الملحق رقم 3) . وعند مروره بالقاهرة " مصر" درس أحوال البلاد الشرقية ولفت انتباهه ما شرع فيه آنذاك محمد علي من إصلاحات في البلاد وتفتحت أبصاره على آفاق أخرى وعرف الأم ا رض التي يعانيها المجتمع الإسلامي، في كل ناحية وكل ميدان وكانت هذه الرحلة من أهم الدروس السياسية والاجتماعية التي صادفته في حياته المليئة بالعلم والعمل. [1]

وفي القاهرة شاهد عبد القادر، الإنجازات الضخمة التي أدخلها هذا الوالي في مجالات الإدارة، واطلع على القوانين التي سنها لتنظيم جيشه، ووحداته المسلحة فقد أعجب به وشعر بأنه مثال يحتذى به، كل تلك الإصلاحات استفاد منها الشاب عندما أصبح سلطان الجزائر.[2]

ولم يكن الحاج الشاب، يتصور بينما كان يتأمل في تلك القدوة أنه هو نفسه كان مقدراً له أن يفوقه قبل مرور وقت طويل في المهارة العسكرية.[3]

---

[1] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص .182

[2] أديب حرب، ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص75.

[3] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص .45

تمكن محي الدين وابنه عبد القادر، من تحقيق أمنيتهما بالرحلة لزيارة الأماكن المقدسة وقد مر خلال تلك الرحلة بتونس، حيث أقاما بعض الوقت فيها وتجولا في البلاد. [1]

2-الرحلة إلى تونس :

وافق دخولهم المدينة الخضراء تونس المونسة، أول من رمضان في السابع والعشرين، من يوم مسيرتنا فأعجبَا بتأنقها وترنقها وبعد الإطلاع على مساجدها البهية، لقي بالتعظيم والتبجيل خصوصًا من قبل علماء التدريس والتحجير، فأقاما بها أحد عشر يومًا،مكرمين عند أرباب دولتها خصوصًا الفقيه العلامة السيد المازري، سلالة الشيخ الطاهر، حائز ولقيهما وكيل وفاق المغاربة الحاج الدر شي بإكرام وإعظام.[2] وهناك انظم لمحي الدين وابنه، وفد الحجاج الذي كان تعداده 2000 حاج ،كانوا ينتظرون تحسن الطقس ليقلعوا بالبحر إلى الإسكندرية ،وبعد إقلاع إحدى السفن بالوفد فوجئوا بعاصفة هوجاء أرغمتهم على العودة، ولكن واتتهم الفرصة الثانية وبعد رحلة 15 يومًا، وصلوا إلى الإسكندرية[3]، ثم إلى القاهرة، حيث تمكن الشاب عبد القادر من الإطلاع على المنجزات العمرانية الهامة[4].

3- الرحلة إلى دمشق وبغداد:

ثم قام محي الدين وابنه ،والحجيج بقطع الطريق العادي إلى مكة عبر السويس، وبعد أن أديا الشعائر في الكعبة، انفصلا عن جماعتهما وذهبا إلى دمشق وبقيا في هذه المدينة عدة شهور وهناك تعرفا على مشاهير العلماء، وكان يقضيان جل وقتهما دائبين على القراءات الدينية ،وعلى يد الشيخ عبد الرحمان الكزبري، قرأ الحديث في الجامع الأموي الكبير.[5]

ومن خلال ذلك أتيح لعبد القادر ،فرصة الاستماع إلى أقوال الفقهاء، وشرح العلماء، وحضور حلقات التفسير على يد أشهر القراء. [6]

---

[1] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص39 .

[2] مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الج ا زئر، 2009 ، ص .103

[3] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص45 .

[4] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص .39

[5] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص. 45 .

[6] أديب حرب، المرجع السابق، ص76.

وقد أخذ الأمير، أثناء إقامته بدمشق، الطريقة النقشبندية، عن العارف بالله الشيخ " خالد النقشيندي السهروردي "، وكان يكثر التردد إليه، فسمع منه علومًا شتى في التوحيد والتصوف.[1]

ومن دمشق قصد بغداد، عبر تدمر، وخلال ذلك زا را قبر الولي الصالح عبد القادر الجيلالي ،بعد أن سكنا إحدى دور قاضيها محمد زكرياء مدة ثلاثة أشهر[2] ، ثم تحولت تلك الرحلة إلى الحجاز للحج مرة ثانية وبعد التآنس بتلك البقاع والتحلي بتحليها المعجبة ،سافر لمكة الباكة أعناق الجبابرة متمسكين بعظائم المناسكين، وفضائل المواقف الزاهرة التي لأصداع الألباب والذوات جابرة، وحينئذ أديا جميع ما هو مذكور فيآية الحج في قوله تعالى :﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ سورة البقرة الآية197 .

خلال تلك الفترة أفيدا عن صدور عفو عن شقيق محي الدين، علي أبي طالب، الذي عاد إلى منزله دون إهانة أو ملاحقة بعد الحادث الذي وقع في مدينة معسكر.

4- العودة إلى مسقط الرأس الجزائر:

وبعد إتمام الحج والعمرة، وبعد أن قضى كل حاج أمره، التفتت النفوس إلى أوطانها وحنت إليها حنين النجب إلى أعضائها، وقصد محي الدين وابنه ومن معهم من الحجيج، المغرب عائدين مع الدرب الحجازي ومناهله المعروفة كالجوراء والينبوع والوجه وآبار السلطان ووادي القصب، ومنه إلى القاهرة في أيام المولد النبوي الشريف وبعد اكتمال ذلك سارا ببيداء برقة من هوس بن عيسى إلى العقبة ثم إلى زيارة الجد ،بعين غزالة ثم على الجبل الأخضر، والى مدينة بن غازي، ثم إلى مصراتة ثم إلى دشورا تاجورة ثم إلى طرابلس [3]، حيث توقفا وزار قبر مصطفى بن المختار و تابعا سيرهما إلى تونس فوادي الحمام الذي وهلاه في أوائل سنة1829م ، وان هذه الرحلات الطويلة والتنقلات المتعددة زادت من قدرة عبد القادر على تحمل المصاعب والمتاعب وتعلقا بالله.[4]

---

[1] محمد بركات م ا رد، المرجع السابق، ص12 .

[2] أديب حرب، المرجع السابق، ص .76

[3] مصطفى بن التهامي، المصدر السابق، ص، ص 121 .،123

[4] أديب حرب، المرجع السابق ، ص، ص 76 .،77

وكانت تلك الرحلة التي دامت أكثر من سنتين، فرصة للعلم والتعلم ،حيث ا زدته شغفا بالعلوم والاعتزال لتحصيلها فكان لا يفارق كتبه إلا إذا خرج للصلاة.

وقرأ في تلك الفترة كل ما وصلت إليه يده من كتب الفقه والحديث والفلسفة، وقد قام عبد القادر بجمع مكتبة تعد من أغنى المكتبات في تلك الأيام.[1]

وقد استفاد من الحج على أشياء كثيرة حيث اطلع على التقدم الحضاري، في الديار التونسية وعلى مجهودات محمد علي، كما أتيح له أيضا معرفة النظم الحديثة المعتمدة في أرض الرافدين، وفرصة أداء واجباته الدينية في موطن مهبط النبوة.[2]

8- توليه الإمارة :

1- ظروف مبايعة الأمير:

بعد سقوط الجزائر عاصمة البلاد في أيدي الجيش الفرنسي، خيل للدولة الغازية أن بقية المدن الجزائرية ستسقط كأوراق الخريف بمجرد أن تهب عليها رياح الموسم، إلا أن المقاومة التي واجهه بها سكان متيجة جعلتها تراجع حساباتها، فلجأت إلى المراوغة و التظاهر بأنها لا تريد من وراء غزوها العسكري التأديبي احتلال البلاد أو التمركز فيها، ودعمت تظاهرها هذا بعرض الإقليمين القسنطيني والوهراني على باي تونس وأجرت اتصالات به لم تسفر عن نتيجة لتردد هذا من ناحية ولاعتراض بعض المسئولين الفرنسيين على الفكرة.[3]

إن الاضطرابات والفوضى اللذين كانا قد بدءا داخل البلاد، أصبحا الآن يزدادان انتشارا باستمرار، والمسلمون الذين كانوا يسكنون المدن الساحلية والذين فروا من الفرنسيين كانوا مشردين في ذعر ويأس مع عائلاتهم.[4]

---

[1] سعيد بوزيان، شخصيات بارزة في كفاح الج ا زئر" 1962 – 1830 " ، ج 1 ، ط2 ، دار الأمل، الج ا زئر، 2004 ، ص6.

[2] سعيد بوزيان، المرجع السابق، ص77 .

[3] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية9541 – 1830 ، طبع المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، (د.ت) ، ص43 .

[4] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص52 .

لقد كان الجيش الفرنسي يمسك بزمام الأمور ويفرض سلطته، لكن لم يتفقوا حول الخطوة التالية هل هو احتلال كامل أم محدود ؟.

والجواب على هذا السؤال يحدد موقفهم تجاه احترام السكان الأصليين الجزائريين، فمنهم قياديون عسكريون يدعمون الاحتلال الجزئي، واحترام السكان المحليين وآخرون عكس ذلك.

لم يكن الطريق أمام فرنسا ممهدا عند احتلالها الجزائر مما أدى اكتفائها باحتلال النقاط الساحلية إلا أنها حاولت بسط نفوذها داخل البلاد عن طريق شيوخ العرب ورؤسائهم ولكنها فشلت في ذلك نتيجة لمعارضة الجزائريين لتوغل النفوذ الفرنسي إلى الداخل، مما أدى إلى تصاعد المقاومة ضد الغزاة الفرنسيين.[1]

وفي داخل البلاد احتشدت الجماهير من أجل الجهاد في حين كانت فرنسا تحتل فقط السواحل الجزائرية، بونة احتلت سنة1831م، أرزيو ومستغانم سنة 1833 ، وكانت باقي البلاد ليست في قبضتهم فالزعماء المحليون الجزائريون يفرضون معارضة كبيرة مثل الداي أحمد في الشرق والزعيم الطاعن في السن للحركة القادرية محي الدين في الغرب، وكانت هذه المناورات والمراوغات نبهت سكان كل من قسنطينة ووهران فإستعدوا بكل ما يمتلكون من روح وطنية عالية لم يحتسب لها الفرنسيون حسابا و راحوا يغزون وهران على أساس أنها منطقة منهكة جراء تصديها للغارات الإسبانية، ولم يدركوا بأن الروح الوطنية طاقة لا تعرف العياء والملل وإنما تحتاج من حين إلى حين التعبئة والتنظيم [2]، وكانت وهران تعتمد في مقاومتها للغزاة الفرنسيين على قواها الشعبية تارة وتارة أخرى على معونة سلطان مراكش لها الذي تعرض للتهديد من فرنسا بهدف وقف تأييده للمقاومة[3].

وبأمر من محي الدين قم عبد القادر وأخوته مع حامية همة بطواف السهول من كل جانب وحماية المشردين المنكوبين وإنقاذ كثير منهم من أيدي اللصوص، وأخذهم جميعا إلى أماكن مأمونة[4]. ووهران في مثل هذه الظروف في حاجة إلى زعيم يقودها وينظم مقاومتها وجدت رغبتها في شخص محي الدين

---

[1] نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الج ا زئر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990 ، ص14 .

[2] محمد الطيب العلوي، المصدر السابق، ص، ص 43 ..،44

[3] نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص14 .

[4] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص52 .

الذي اشتهر بسمعته الحسنة في قريته القيطنة، وبما أنه الشخص الجدير بالثقة والتقدير فقد اتجهت نحوه الأنظار [1]فبعد تفاقم أمر الاحتلال الفرنسي ألح الشعب على السيد محي الدين في أن يتولى الحكم وينظم البلاد أمام الفراغ الذي تركه الأتراك وكان الشعب قد طلب منه مرة أولى أن يقبل الإمارة والقيادة في الحرب فرفض الإمارة لكبر سنه وقبل القيادة الحربية ودارت بينه وبين الفرنسيين عدة معارك ثم لما عادوا في المرة الثانية يعرضون عليه [2]غير أن محي الدين اعتذر لهم لكبر سنه متهيبا من تحمل المسؤولية العظمى، فأصروا عليه وهددوه بالقتل إن امتنع[3] .

2- البيعة الأولى:

بعد أن أمعن محي الدين النظر في هذا الأمر رأى أن الاهتمام به واجب وتعين عليه شرعا أن يقوم به لأنه مسموع الكلمة نافذ الأمر، غير أنه لما كان عاجزا عن القيام بأعبائه و رأى أن ولده المنوب به قد بلغ أشده وأرهف حده وترشح للإمارة و تأهل لها [4].

واستكملت فيه شروطها من الهدى وعلو الهمة وقوة الحواس وكمال الخلق، وجمال الصورة وشرف النسب والعلم والحلم وغير ذلك من الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسنها.[5]

وبذلك قال محي الدين" :إنكم تعرفون أنني رجل سلام مكرس نفسه لعبادة الله وان الحكم يقتضي استعمال القوة الفظة وسفك الدماء، ولكن ما دمتم تصرون على أن أكون سلطانكم فإني أقبل ولكن أتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر . [6]"

وقد استقبل الحاضرون هذا الحل الفجائي وغير المنتظر للمشكل بأصوات الموافقة العالية، فإسم عبد

---

[1]محمد الطيب العلوي، المصدر السابق، ص44 .

[2]عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص.182

[3]بركات محمد م ا رد، المرجع السابق، ص1 .

[4]محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص181 .

[5]نفسه، ص181 .

[6]شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص. 56 .

القادر، قد ردد بحماس وكانت شخصية وملامح وشجاعة محي الدين المفضل هو موضوع الحديث الرئيسي ،ونتيجة لذلك أرسل إليه فارس لإحضاره من القيطنة.[1]، جلس عبد القادر إلى جانب والده واخوته الذين علت وجوههم ابتسامة الرضا لأن كل منهم كان يدرك أن شقيقهم عبد القادر كان أكثرهم شجاعة وقوة وتحمل و كان أكثرهم وسامة وسرعة بديهة وكانوا يفخرون به ولم يبد أي منهم اعت ا رضا لاختيار أبيهم له، وعندما اكتمل هذا الاجتماع التاريخي تقدم الوالد من عبد القادر مبايعا وشد على يده قائلا " :كيف ستحكم البلاد يا ولدي أجابه عبد القادر " :بالعدل والحق الذي أمر به رب العالمين سأحمل القرآن بيد وعصا من حديد بيد أخرى، سأسير على هدي كتاب الله وسنة رسوله ".[2] وتباشر الناس لذلك لما رأوا من إقدامه للزحف وإقدامه الصف بعد الصف وشاهدوا فيه من الصفات العليا والنعوت السنية.

واجتمع أشرافهم وعلمائهم وأعيانهم، وتداعى صغيرهم وكبيرهم وخيموا عند شجرة الدردارة وجلس عبد

القادر تحت الشجرة وقام والده فبايعه على السمع والطاعة ودعا له ثم لقبه " بناصر الدين " وبعدها بايعه الإخوة وسائر الق ا ربة ثم الإشراف والعلماء والأعيان والرؤساء على حسب م ا رتبهم وطبقاتهم بايعوه على ما بايعه عليه والده[3]، قال تعالى :﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ " سورة الفتح آية " 18 – وبذلك بادر ائتلاف قبلي على مبايعة عبد القادر الذي كان يبلغ من العمر أربعا وعشرين سنة.[4]

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص. 56 .

[2] الأميرة بديعة الحسني الجزائري، المصدر السابق، ص25 .

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تعليق :ممدوح حقي، ج 2 ، ط2 ، دار اليقظة العربية،1964 ، ج 1 ، ص182 .

[4] فرانسوا مسبيرو، سانت أرنو أو الشرف الضائع، تر :أحمد بكلي، مراجعة، مسعود الحاج مسعود، طبعة خاصة، دار القصبة، الجزائر، 2005،ص___93 .

3- البيعة الثانية :

وافقت يوم 21 نوفمبر 1832 م حيث دخل الأمير عبد القادر مدينة معسكر ، وقد غصت كل الشوارع والطرق المؤدية إلى المدينة بلقياه ، وكان الرجال والنساء والأطفال يتبادلون التهاني في مظاهرة ترحيب سارة بسلطانهم المستقبلي. [1]

وبذلك قال والد الأمير لمن طلبوا مبايعته فيما معناه أن : ولدي عبد القادر شاب فطن صالح لفصل الخصومة ومداومة الفروسية مع كونه نشأ في عبادة ربه وأعتقد أني فديت به نفسي لأنه عضو مني وما أكرهه لنفسي أكرهه له. [2]

وهذا ما جعل قبائل المنطقة معسكر يعترفون بابنه الأمير عبد القادر وعمره لم يتعد 24 سنة أمير المؤمنين وقاد الجهاد . وبعد إنتخابه سلطانا للجزائر سنة 1832 أخذ عبد القادر لقب أمير المؤمنين وقد أصدر كثيرا من البيانات إلى الجزائريين، داعيا إياهم للطاعة والدفاع عن وطنهم ضد المعتدين وتوحيد أنفسهم واليقظة للأخطار التي تحيط بهم، ومن بين تلك البيانات ما جاء على لسانه

" : إنكم أيها الجزائريون قد أصبحتم الآن تحت رحمة رومي، يقاضيكم رومي ويدبر شؤونكم رومي ... إن الرومي قد انتهك مساجدكم وأخذ أحسن أ ا رضيكم ... إن يوم يقظتكم قد حان هلموا جميعا عند سماع صوتي أيها المسلمون إن الله قد وضع سيفه الملتهب في يدي وأننا جميعا سنمضي إلى الأمام ونروي حقول وطننا بدماء الكفار" .[3] وقد تمت بيعة عبد القادر أميرا وحامل لواء الجهاد من طرف القبائل على هذه الصيغة" :" بايعناه على السمع والطاعة والامتثال للأوامر، ولو في الواحد منا أو في نفسه وقد منا نفسه على أنفسنا وحقه على حقوقنا. " [4]

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص. 56 .

[2] احمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء والأكابر، مراجعة وتقديم، محمد زكي إبراهيم، ط1 ، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر، 1997 ، ص25 .

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1900 ، ج 2 ، ط4 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992 ، ص ،ص40 .،41

[4] محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص___. 45 .

وخطب الأمير في الناس خطبة قصيرة حثهم فيها على الطاعة والتزام أ ري الجماعة، ثم أول ما قام به عبد القادر الشاب هو أن دخل إلى بيته وناد زوجته فقال لها " :

من واجبي الآن أن أخيرك بين أمرين [1] إن أردت أن تبقي معي من غير التفاف إلى طلب حق من حقوقك عليّ وان أبيت فلكي ما تريدين وأمرك بين يديك لأني قد تحملت ما يشغلني عنك" [2]، ثم خرج إلى المسجد الجامع فصلى الظهر بالناس ثم خطب بهم خطبة مبتكرة طويلة تحتوي على وعظ ووعد ووعيد وأمر ونهي وحث على الجهاد وبعد الانصراف منه إنفراد أفاضل العلماء لتحرير نص البيعة [3](أنظر الملحق رقم4 ص. 43)

وفي هذه الأوضاع المعقدة تقلد الأمير زمام الأمور وحاول أن يجمع كلمة الشعب ليزحف على الأعداء رغم وجود صعوبات جمة تعتري طريقه.[4]

1- نص البيعة باللغة العربية:

«الحمد لله وحده، الصلاة والسلام على من لا بني بعده، إلى قبيلة كذا وقبيلة كذا، إن أهالي معسكر وشرق وغرب غريس وجيرانهم وخلفاءهم، بني شقران والبرجيين وبني عباس واليعقوبيين وبني عامر وبني مجاهر وغيرهم قد وافقوا بالإجماع على تعييني ، وبناء عليه انتخبوني لإدارة حكومة بلادنا، وقد تعهدوا أن يطبعوني في السراء والضراء و الرخاء والشدة وأن يقدموا حياتهم وحياة أبنائهم وأملاكهم فداء للقضية المقدسة ، ومن اجل ذلك إذ تولينا هذه المسؤولية الهامة، آملين أن يكون ذلك وسيلة لتوحيد المسلمين ومنع الفرقة بينهم وتوفير الأمن العام إلى كل أهالي البلاد ووقف كل الأعمال غير القانونية التي يقوم بها الفوضويون ضد المسلمين وصد وطرد العدو الذي اعتدى على بلاد مريدا أن يغل أعناقنا بقيوده

[1] عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص. 182 .

[2] محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ج 2 ، ص. 182 .

[3] نفسه، ص182 .

[4] محمد الأخضر ضيف الله ، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981 ، ص، ص . 37

ولقبول هذه المسؤولية اشترطنا على كل أولئك الذين منحونا السلطات العليا أن عليهم دائما واجب الخضوع في كل أعمالهم إلى نصوص وتعاليم كتاب الله ،إلى الحكم بالعدل في مختلف مناطقهم ،طبقا لسنة النبي وإن يعاملوا القوي والضعيف، النبيل والمحترم بإخلاص دون محاباة وقد قبلوا هذا الشرط، ولذلك ندعوكم إلى أن تتشاركوا في هذا العهد أو العقد بيننا وبينكم، سارعوا إذن لإعلان ولائكم وطاعتكم والله يجازيكم في الدنيا والآخرة، إن هدفي الأساسي هو الإصلاح وفعل الخيرما دمت حيا إن ثقتي باله ، ومنه هو وحده أرجوا. الجزاء والنجاح»

بأمر من المدافع عن الدين صاحب السيادة علينا أمير المؤمنين عبد القادر بن محي الدين نصره الله آمين.

حرر في مدينة معسكر 22 نوفمبر[1] 1832

[1]شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص ،ص 59 .،60

خلاصة لهذا الفصل نستطيع القول بأن الأمير عبد القادر تلقى تعليما عربيا دينيا أصيلا وكان نسبه نسبا شريفا يعود إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عيه وسلم ،كما كان لأسرته الدور الفعال في تكوين شخصيته حيث أخذ عن والده مختلف العلوم الدينية من فقه وتشريع إضافة إلى الأخلاق الحسنة.

تميز الأمير بأوصاف تغنى بها الكاتبون وحظي بذلك في العديد من الكتابات التاريخية ويفتخرون بسجاياه ويقدرون مواقفه ويعتزون ببطولاته.

نشأ الأمير نشأة دينية بفضل مصادره المحيطة به التي تمثلت في والده وعشيرته وقومه سالكا مسلك آبائه وأجداده في الأخذ بالأسباب وآداب النفس ، كان لرحلاته أثرا بالغا في تكوين شخصية قادت المقاومة الفكرية والسياسية في فترة كانت فيها بلاده تحت الأطماع الأجنبية بعد مبايعته كأمير للإمارة واعتباره نقطة أمل للقضاء على الواقع الاستعماري المرير وحمل راية الإسلام في علياء الجزائر.

ظهرت مقاومة الأمير عبد القادر، ردة فقل قوية منطقية للاحتلال والتوسع الفرنسي في المناطق الداخلية بالجزائر، ففيما بين(1832 - 1830) ،كان هناك اضطراب كبير حول حقيقة وجود القوات الفرنسية مستعمرة الجزائر، لأن الغالبية طنت أنه وجود مؤقت، لكنه طال وكان لزاما على الجزائريين أن ينظموا قواتهم تحت لواء واحد فكانت بذلك المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر والتي مثلت مرحلة هامة من مراحل الكفاح المسلح للشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي لأنه اعتمد على إستراتيجية عسكرية وسياسية محكمة تمثلت في تنظيمه للدولة على أسس وقواعد إسلامية وإبرام معاهدات دبلوماسية اتضح فيه فكر الأمير السلم.

ونلاحظ ذلك من خلال قراءتنا لمراسلاته وعد طالت مواهبه الفنية الفكرية تطبع حياته في مراحله الأخرى وان دَّلَ ذلك فإنه يدل على إطلاعه الواسع وتحصيله الوافر وذاكرته القوية.

1- تأسيس الدولة:

1- تعريف الدولة:

أ – لغة :إن تعريف الدولة الشائع عند الغرب تعود جذوره إلى اللغة اللاتينية، والتي اشتقت من وتعني الحالة أو طريقة العيش .[1]وأول من استخدم هذا المصطلح هو (status) اللفظة (ميكيافيلي) في كتابه الشهير (الأمير) حين عرف الدولة بأنها " كل هيئة يكون، أو كان لها ،سلطة على الشعوب وهي إما جمهوريات أو إمارات.[2] أما الدولة عند العرب فابن منظور "صاحب لسان العرب " يصفها بأنها الفعل والانتقال من حال إلى حال .[3]"وتأخذ الدولة

[1]الهادي، رياض عزيز". مفهوم الدولة ونشوئها عند ابن خلدون."مجلة العلوم السياسية . ع 37 ، دس.ص78

[2]هظال أحمد رشيد و آخرون.دراسات موجزة عن مفهوم الدولة و أنواعها و أنواع السلطات العامة. دهوك :مطبعة زانا، 2006 ، ص07

[3]ابن منظور.لسان العرب. ج4 ، ط3 ، بيروت :دار إحياء التراث العربي. 1999 .ص444

في" قاموس المحيط "للفيروز آبادي المعنى ذاته بالإضافة على أنها " انقلاب الزمان والدهر من حال إلى حال".[1]

ويتداول ابن خلدون مصطلح الدولة على أنه " الامتداد المكاني والزماني لحكم عصبية ما ." فامتداد الدولة في المكان أي مدى نفوذها واتساع رقعتها، وما يتناول استمرارها في الزمان أي مختلف المراحل التي يجتازها حكم العصبية الحاكمة، من يوم استلامها السلطة إلى يوم خروجها من يدها.[2]

ب – اصطلاحا:

هي تجمع بشري مرتبط بإقليم محدد يسوده نظام اجتماعي وسياسي وقانوني، موجه لمصلحتها المشتركة وتسهر على المحافظة على هذا التجمع سلطة مزودة بقدرات تمكنها من فرض النِّظام ومعاقبة من يهدده بالقوة.[3]

ومصطلح الدولة في العالم العربي يكاد يكون مرادف لمفهوم السلطة، ومهمتها تكاد تقتصر على ممارسة هذه السلطة، وتأمين الاحتفاظ بها .[4]5 والدولة نقيض الفوضى بما أنها جهاز تنظيمي لتُدير شؤون مواطنيها وتسييرها، وهي نقيض للدولة التسلطية التي يستفرد من خلالها الحاكم بالّتقرير والّتنفيذ وتتمركز كل السلطات بيده من دون حسيب ولا رقيب، وهي نقيض للدولة التي يغيب فيها سمو الإرادة الشعبية حيث تكون مستعبدة لا سيدة.

2 – الأمير عبد القادر يصنع دولة على أسس إسلامية:

[1] هادي، رياض عزيز". .مفهوم الدولة ونشوئها عند ابن خلدون ، مجلة العلوم السياسية ،ع 37 ،دس ،ص79

[2] الجابري، محمد عابد.العصبية و الدولة . ط6 ، لبنان :مركز دراسات الوحدة العربية،. 1994 ص211

[3] الشرقاوي، سعاد.النظم السياسية في العالم المعاصر. القاهرة :جامعة القاهرة، . 2007 ص19

[4] الطيب، محمد رفيق. العالم العربي و تحديات المعاصرة (نقد الذات و سبل الاصلاح)، لبنان :دار النفائس،2010 ص229

يعتبر الأمير عبد القادر من القادة القلائل على مستوى المنطقة العربية الإسلامية الذين جمعوا بين السيف والقلم واستطاعوا الإلمام بأعباء القيادة والاهتمام بالثقافة.[1]

لقد عمل الأمير في الشروع لتنظيم الدولة وكان هدفه الأول منذ مبايعته فقام ببسط سلطته على تلك القبائل غير تلك التي بايعته ثم فرض النظام على التي أبدت له ولاءها[2] ، وكان نصب عينيه هو التأسيس لاستقلال العرب في الجزائر وبناء أمة جزائرية مستقلة.[3]

فبمجرد مبايعته شرع عبد القادر في بناء الدولة ووضع دعائمها على أسس إسلامية مستمدة قوانينها من القرآن والسنة النبوية الشريفة وفي الوقت عصرية شورية مستمدة شرعيتها من الشعب قولاً وفعلا[4] ، بداية بتأديب تلك القبائل التي خرجت عن طاعته وخلال مدة ما بين عامي(1839 – 1837) استطاع أن يمد نفوذه في جهات لم تكن تحت سلطته كمنطقة حمزة وبلاد القبائل مع وضع هياكل إدارية لمناطقها[5]، حيث كانت العصرنة والأصالة العربية التي تقوم على أسس ومبادئ إسلامية دينية مستمدة من الأفكار الصوفية مندمجتان في هدف الأمير إذ يجب أن يتوفر في شخصه إرادة صارمة ونهج عصري يقنع به التابعين.

3 – دور الطرق الصوفية في مساندة الأمير:

كان الأمير يتنقل في كل الاتجاهات ليستميل ويقنع وهو يذكر بمقتضيات الإيمان والجهاد وان القادة الكبار والعلماء والمسؤولين عن الطرق الصوفية الدينية والزوايا كلهم اعترفوا له

[1] محمد العربي بن خليفة، المنطقة العربية الإسلامية، ط2 ، دار الأمل، الجزائر، 2007 ، ص. 256 .

[2] عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، منشورات دحلب، الجزائر، 2009 ، ص83 .

[3] كمال بوشامة، الأمير عبد القادر " ملحمة الحكمة" ، منشورات زكي بوزيد ،الجزائر، 2007 ، ص38 .

[4] عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، ط 1 ، دار ريحانة، الجزائر،2009 ، ص133 .

[5] سعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1962 – 1830 ، ج 1 ، ط 1 ، دار الأمل، الجزائر،2004، ص. 65 .

بسيادته وسلطته وضع الأمير عبد القادر الرجل المجاهد الصوفي كل رجال الدين وكل المرابطين وكل الجمعيات الأخوية التي تسمى الإخوان والتي تغطي فروعها الجزائر والمغرب.[1] وكان عليه كسب هؤلاء لأن هذه الطرق الصُوفية خاصة القادرية منها كان لها الدور الهام في مقاومة الدول الاستعمارية والفرنسي على وجه الخصوص في الجزائر، إذ أن أتباع هذه الحركات والمريدين الذين التفوا حولهم اعتبروا الجهاد السياسي جزء من واجباتهم لا ينفصل عن الجهاد في سبيل الله ونشر الدين الإسلامي والنهوض بالأمة العربية المسلمة.[2]

ووعيا من الأمير قام بضم فئة الشباب إليه فوراً لتنظيم الدولة الفتية الجديدة ولكونه شابًا يبلغ من العمر أربعة وعشرون سنة فقد انظم إليه رجال من سِنِّهِ ولهم في الغالب من ثقافته الدينية الحسيفة.[3]

4 - هياكل الدولة الجديدة:

قام الأمير عبد القادر بوضع هياكل وأجهزة لدولته الفتية عن النحو التالي:

أ -مجلس الشورى :

يشتمل على 11 عضوًا برئاسة القاضي أحمد بن الهاشمي المراحي[4] وهو يشبه البرلمان ويضم من العلماء وكبار العارفين بشؤون الشريعة الإسلامية وأيضا السياسية، يستشيرهم الأمير في كل أمر تبعا لأمر الله تعالى :﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى 38) [5]، وكان على الأمير وهو يؤسس لقيام دولة وطنية إسلامية أن يقوم بمراعاة أولويات العمل التي تركز على توحيد الجزائريين حول مبدأ الجهاد وتحقيق رسالة الإسلام مع رفع المظالم على الشعب، بحيث

---

[1] قدور محمصاجي، شباب الأمير عبد القادر، تر :مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 ، ص.ص. 267.263 .

[2] شوقي بن عطا الله الجمل، الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، مصر، ص. 108 .

[3] محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر، تعريب :حبيب شنيتي، دار القصبة، الجزائر، 2007 ، ص. 142 .

[4] عمار بوحوش .، التاريخ السياسي للج ا زئر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت،2005، ص109 .

[5] رابح لونيسي وآخرون، المرجع السابق، ج 02 ، ص

أنه تجاوز غيره من الثوار التي توقفت جهودهم على القبيلة والقرية (4) إلى بناء دولة وتكوين مؤسسات لها. [1]

كما عمل على توحيد المناطق المستقلة وقد اعتمد الأمير على الفقه المالكي كمصدر للتشريع والاستناد لمبادئه الإسلامية الدينية.[2]

ب .الهيكل السياسي والإداري:

يضم الهيكل السياسي والإداري للدولة 08 مقاطعات إدارية يرأس كل واحدة خليفة للأمير وتضم:

مقاطعة تلمسان، معسكر، مليانة، تيطري، مجانة، الزيبان، ومقاطعة جبال القبائل الكبرى[3].

وكان لدولته أيضا حكومة تتمثل في الديوان ومقره معسكر وكاتبتان الأولى للحبوس والثانية للشؤون الخارجية، وكان هناك خزينتان إحداهما عامة والأخرى خاصة .

وتشكلت الدولة من سبعة وزارات وهي :الداخلية والخارجية، المالية، الأوقاف، الأعشار، الحربية،الخزينة الخاصة، كما كان للأمير مستشارون مسلمون ويهود ومسيحيون[4] ، وفي الوقت الذي كان الأمير ينظم دولته بعقد معاهدات مع جنرالات فرنسا بهدف الاعتراف بسيادته مع التبديل القنصلي بين الجزائر وفرنسا.[5]

كان التنظيم الإداري يقوم على راية الإمارة مع توزيع السلطات منها السلطة التنفيذية والتشريعية التي مقرها معسكر واتخذت التشريعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والمذهب المالكي دستورا لها للبث في قرارات فقهاء القانون الإسلامي للدولة ومن أبرزهم مصطفى بن التهامي.

---

[1] العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة، الجزائر، 2006 ، ،ص185 . ص ،. 189

[2] محمد مورو، الجزائر تعود لمحمد صلى الله عليه وسلم، المختار الإسلامي، مصر، 1992 ، ص. 51 .

[3] أديب حرب، المرجع السابق، ص .ص 46 ،. 51

[4] رابح لونيسي وآخرون، المرجع السابق، ص. 37 .

[5] عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1 ، دار طليطلة، الجزائر، 2009 ، ص74 .

أما بالنسبة للمالية والاقتصاد ،فكان عبد القادر يعتمد على مناجم الرصاص والنحاس والذهب إلى جانب الواردات، من عشور وزكاة ومعونة وخطية[1] .وكانت العملة المتداولة حتى حين وَضْعِ عملة خاصة لدولة الأمير هي الريال الإسباني والبوجور[2] .وكان الأمير قد استلهم تنظيم الدولة من المنهج النبوي وبرز ذلك جليا من زمن التكوين إلى زمن التألق إلى زمن الخواتم في دمشق[3].إضافة إلى القلاع والحصون التي شيدها لمواجهة العدو الاستعماري [4] مثل قلعة سيدو صغراوة جنوب معسكر التي تعتبر منذ عصور من أعظم مدن المقاطعة كما أسس عاصمته المتنقلة المشهورة" الزمالة "(أنظر الملحق رقم .05).[5]

كما اهتم الأمير عبد القادر بالتعليم والأخلاق الحسنة، وتوفير الكتب للطلبة واستقدم العلماء والمثقفين من الجهات العديدة.[6] وعمل بأول أمر من الله تعالى للمسلم وهو :﴿ اقْرَأْ بِّاسْمِّ رَبِّكَ ﴾ (العلق) 01 :والذي فهمه أنه لا يمكن التقدم وبناء دولة مسلمة قوية وجديرة بإيصال رسالة الإسلام إلى العالم إلا إذا تعلم المسلمون واهتموا بقراءة الكتب والتأمل في الكون مما يسمح لهم باكتشاف القوانين الطبيعية والعلمية واستعمالها في الاختراع، ولهذا كان التعليم يحتل المقام الأول في دولة الأمير عبد القادر، فمثلاً :أسس في مدينة تلمسان وحدها خمسين مدرسة ابتدائية ومعهدين كبيرين للتعليم الثانوي والجامعي، كما اهتم بالكتب النفيسة.[7]

---

[1]أديب حرب، المرجع السابق، ص. 55 .

[2]أ.ف .دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر :أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2003، ص. 59 .

[3]محمد طيبي، جريدة الخبر، ديسمبر، ، «الأمير عبد القادر استلهم قوته الروحية والفكرية من النهج النبوي (» 2015، ص. 21 .

[4]يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، ج1،ط2 ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996 ، ص 44 .

[5]أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان" 1855–1830"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989 ، ص 138 .

[6]يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص. 44 .

[7]رابح لونيسي وآخرون،ج 02 ، المرجع السابق، ص. 83 .

هكذا كان الأمير قائدًا جديرا، حيث أنه لم يضيع فترة السلام ،خلال برم المعاهدة وبذل جهودًا جبارة لخلق دولة فتية عصرية، في فترة قصيرة جدًا وفي ظروف صعبة غير ملائمة. [1]

2 – معالم الدولة الجديدة:

أ– حدود الدولة:

تميزت حدود دولة الأمير عبد القادر بعدم الاستقرار والثبات، فنجدها تارة تتَّسع دولة الأمير وتارةً أخرى تضق، وذلك بسبب مؤثرات داخلية وخارجية، إذ حددت معاهد دي ميشال المبرمة بتاريخ 26 فيفري 1834 ، حدود الدولة آنذاك، حيث اشتملت على مجمل الناحية الوهرانية وجهات التيطري (المدية وما جاورها) [2].في المقابل يتمتع الفرنسيون بكل من مستغانم وأرزيو[3]، ومدن نواحي وهران والمرسى الكبير بالإضافة إلى مدينة الجزائر وجهات سهل متيجة ومدينتي عنابة و بجاية[4] .وقد استغل الأمير هذه الهدنة المؤقت فتوغل في إقليم التيطري واستولى على مليانة سنة 1835 م والمدية حتى بلغ بسكرة والواحات الجنوبية وجبال جرجرة والزيبان.[5]

وعندما نقضت معاهدة دي ميشال من طرف الفرنسيين في جوان 1835 م، كانت دولة الأمير تغطي مساحة تمتد من متيجة الغربية شرقا إلى حدود المملك المغربية غربا.[6]

أما حدود الدولة المعترف بها من خلال البنود الأولى لمعاهدة التافنا الموقعة في30 ماي 1836، فتنص على اعتراف الأمير عبد القادر بما استولى عليه الفرنسيون انطلاقا من

---

[1]يحي بوعزيز،المرجع السابق، ص44 .

[2]ناصر الدين سعيدوني، .مرجع سابق .ص208

[3]فتحي دردار،.الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847 .ص66

[4]سعيدوني، ناصر الدين .مرجع سابق.ص208

[5]المولود علوش، سماعيل زوليخة ،تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ الى الاستقلال .الجزائر :دار دزاير أنفو،2013 . ص78

[6]فتحي دردار، .مرجع سابق .ص66

مراكز الجزائر والبليدة والقليعة، وجهاتها من وادي قدارة (أعالي بودواو) حتى وادي الشفة ومازافران، بالإضافة إلى وهران وجهاتها من وادي المالح غربا إلى مستنقعات المقطع ومصب نهر الشلف شرقا وفي المقابل حصل الأمير على إقرار فرنسا بسلطته على الناحية الوهرانية وإقليم التيطري والنواحي الداخلية حتى جهات الحضنة و الزيبان.[1]

و في سنة(1837-1839) ، كانت حدود دولة الأمير عبد القادر تشمل كل الغرب الجزائري باستثناء" وهران ومستغانم وأرزيو"، والوسط إلا العاصمة والجنوب القسنطيني أي الأوراس والزيبان وامتدت جنوبا إلى شمال الصحراء .وفي المقابل سيطر الغزاة على قسنطينة وجيجل وسطيف وغيرها[2] ، وعلى إثر زوال بايلك الشرق سنة (1838) توسعت نفوذ الأمير عبد القادر عن المنطقة وأحدث مقاطعة الشرق التي مركزها" برج حمزة".[3]

وبصفة عامة فإن دولة الأمير عبد القادر عبارة عن رقعة جغرافية تقع في الشمال الغربي للجزائر وتمتد من الحدود مع المغرب إلى الحدود مع بأيلك الشرق، وبالضبط من وجانة إلى واد خضرة ومن واحات الزيبان والبيض إلى جبال القصور وعمور جنوبا، ومن ميناء رشقون إلى سهول متيجة على طول السواحل البحرية شمالا، فهي تتربع على مساحة02 واسعة تشكل أكثر من % 70 من مساحة شمال الجزائر[4].(**أنظر الملحق رقم 06**).

ب – التضاريس:

يتسم سطح الغرب الجزائري والذي يعتبر امتدادا من الشرق إلى مدينة الشلف(الأصنام سابقا) إلى الغرب نحو الحدود المغربية، ومن الجنوب تصل حدوده إلى أقاصي الصحراء نحو إقليم الساورة[5] ، بالانبساط في الوسط و الجنوب والشرق وبالارتفاع في الغرب والشمال،

[1] ناصر الدين سعيدوني، .مرجع سابق.ص209

[2] بلاح، بشير .تاريخ الجزائر المعاصرة" 1989 - 1830 " ، ج 1 ، دار المعرفة، الجزائر، 2006.ص82

[3] دردار، .مرجع سابق.ص66

[4] محمد السعيد قاصدي، (1830 1962) دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر الجزائر :دار الإرشاد، . 2013 .ص41

[5] . يحي بوعزيز،. مدينة وهران عبر التاريخ . الجزائر:دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002 ص30

وتنحدر الربوات الشمالية بحدة إلى ساحل البحر، بصورة تدريجية نحو الجنوب ويشتد إرتفاعها إلى الغرب خاصة في جبل مرجاجو أو المايدة أو جبل سيدي هيدور، ومرتفعات بوصفر وتتمثل هذه المرتفعات في ربوات كريشتل وأرزيو وكاناستيل، وفي جبال مرجاجو (المايدة) وهضاب بوصفر والأندلس في الغرب وهضاب مسيلة ومسرقين وبوتليليس جنوبا.[1] كما تمتاز المنطقة باتساع وامتداد نجودها أو هضابها العليا [2]، في حين أنها تعتبر من أقل الأراضي الجزائرية جبالا وارتفاعا، ومن أكبر جبالها هي جبال تلمسان والتي لا يتجاوز ارتفاعها 1900 متر، ويصف أحمد توفيق المدني في كتابه هذه هي الجزائر"بأنه جبل بديع بمياهه المتدفقة وشلالاته البديعة وأشجاره الخضراء الباسقة "، بالإضافة إلى أن البلاد تنفرج على خليجين هما :خليج وهران وخليج أرزيو، أما خليج وهران ففيه المرسى الشبيه بالحربي وهو المرسى الكبير ثم المرسى التجاري وهو مرسى وهران.

أما خليج أرزيو ففي شرقه نجد مرسى مستغانم "مشتى غانم "وفي غربه مرسى أرزيو[3] وعن السهول فقد كانت تزخر المنطقة بمجموعة من السهول وهي سهول المقطع وأرزيو وسهول وادي تليلات، وسهول السانية وسهول وهران والكرمة وسهول مسرقين وبوتليليس التي تمتد في أحواز العامرية جنوبا[4] وسهول معسكر والتي تعرف بسهول اغريس وهي أكثر تلك السهول ارتفاعا، وسهل تلمسان والذي يشمل حوض التافنة، وسهل سيدي بلعباس ويشمل حوض وادي مكرة أو سيق.[5]

. [1]يحي بوعزيز،. مدينة وهران عبر التاريخ مرجع سابق.ص30

. [2]المدني،أحمد توفيق.أبطال المقاومة الجزائرية و يليه جغرافية القطر الجزائري . م9 ، الجزائر، دس.ص155

[3]أحمد توفيق المدني،.جغرافيا القطر الجزائري . الناشئة الإسلامية،. 1948 ص109

[4]يحي بوعزيز،. مدينة وهران عبر التاريخ . الجزائر مرجع سابق .ص30

أحمد توفيق المدني.هذه هي الجزائر . الجزائر :دار البصائر، .2009 ص240

وتتصف هذه السهول بكثرة المستنقعات المالحة التي تصب بها بعض الأودية والمجاري الداخلية، وتستغل بعضها في استخراج الأملاح مثل :سبخة أرزيو وسبخة وهران الكبيرة والسبخة الصغيرة التي تجاور مدينة وهران.[1]

أما عن السدود فهي غنية بالسدود العظيمة والتي تجمع مياه الأودية وتوزعها على الأراضي الفلاحية، مما جعل البلاد تزخر بقيمة زراعية كبيرة[2]، إذ كان يعتمد في الفلاحة على مياه الآبار بصفة عامة[3] ، فكان لنبات الحلفاء الحض الكبير في عملية الإنتاج وهو نبات متواجد بصفة كبيرة بالهضاب العليا، ويكاد يكون المورد الوحيد والضئيل لجماعة البدو من المسلمين [4]، إذ نجدهم يقومون باقتلاعها من جذورها ثم يبيعونها لنواب الديار الإنكليزية ثم ترسل لإنجلترا وهناك تصنع ورقا وأقمشة وزرابي وترسلها إلى مختلف بلاد العالم ومنها الجزائر.[5]

ومن أهم مدن الغرب الجزائري نذكر:

-مدينة معسكر :تقع وسط سهول اغريس الخصبة الغنية وتغرس بها الكروم والزياتين والدخان، وهي مشهورة أيضا بصناعة البرانيس الغريسي .[6]

-مدينة تلمسان :من أشهر مدن عمالة وهران ،تقع بين الجبال الخضراء وهي مدينة ترتفع 806 .أمتار عن سطح البحر، وطقسها صاف معتدل.[7]

-مدينة سعيدة :وهي آخر المدن على الأطلس التلي، وهي بلاد خصبة وافرة المياه معتدلة

[1]يحي بوعزيز،. مدينة وهران عبر التاريخ . مرجع سابق .ص31

[2]أحمد توفيق المدني،. هذه هي الجزائر . مرجع سابق .ص240

[3]يحي بوعزيز، . .مدينة وهران عبر التاريخ مرجع سابق .ص29

[4]أحمد توفيق. المدني، هذه هي الجزائر . مرجع سابق.ص109

[5]تفسه.ص240

[6]أحمد توفي المدني،ق.أبطال المقاومة الجزائرية و يليه جغرافية القطر الجزائري . .مرجع سابق .ص158

[7]أحمد توفيق المدني،.جغرافيا القطر الجزائري . .مرجع سابق .ص110

الطقس جيدة المناخ، مما جعلها مركز فلاحي كبير الأهمية اشتهر أهلها بخدمة النحاس المنقوش.[1]

-مدينة تيارت :يتوفر على أرضها أهم أسواق القطر الجزائري،وأكثرها حركة إذ هي مركز ناحية" السرسو "الفلاحية والتي تشتمل أربعمائة ألف هكتار من أجود الأراضي.

-مدينة غليزان :تقع في سهل وادي مينا وهي مركز تجاري وفلاحي عظيم إذ تمتاز بكثرة المياه وارتفاع الحرارة.[2]

ج – عواصم الدولة:

- **معسكر :**

بعد حصول الأمير عبد القادر على البيعة وذلك في (27 نوفمبر 1832 م) استقر به الرأي إلى أن تكون معسكر هي عاصمة للدولة الجزائرية[3] ، ومقرا لإقامته تأنيسا لأهل اغريس وتطييبا لنفوسهم لأنهم كانوا دعاة هذه الإمارة، فكانت منها حركته ونهضته وفيها أولى قراره بأنجاده كمل أمره وأينع رأسه وعراره[4] .وعلى اثر ذلك كانت معسكر مقر إدارة السلطة المركزية للأمير عبد القادر[5]، وقد تعرضت هذه العاصمة للحرق في 19 ديسمبر 1839م على إثر معركة واد المقطع.[6]

---

[1] أحمد توفيق المدني،.أبطال المقاومة الجزائرية و يليه جغرافية القطر الجزائري .مرجع سابق .ص159

[2]أحمد توفيق المدني،.جغرافيا القطر الجزائري . . 5- مرجع سابق .ص113

[3]فتحي دردار، .مرجع سابق.ص33

[4]الجزائري، محمد بن عبد القادر.تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار والجزائر ج1 ،الإسكندرية :المطبعة التجارية، 1903. ص104

[5]العربي إسماعيل .مرجع سابق.ص20

[6]دردار فتحي .مرجع سابق .ص71

- **الزمالة :**

، إن سقوط عواصم الأمير قبل الزمالة جعلته يبادر بإنشاء عاصمة تحت اسم الزمالة، حتى تكون حصنا له لما ينجر من مخاطر من قبل يد الاحتلال ، وأيضا من أجل تطوير .الحرب الحركية لمواصلة الكفاح ضد فرنسا.[1]

والزمالة هي عبارة عن مدينة متنقلة ضاربة في عرض الصحراء[2]، تمتد من تاقدمت إلى جبال العمور وهي عبارة عن مجموعة من الخيام يقطنها ما بين خمسين آلف وسبعين ألف ساكن مدني[3]، وقد كانت تتكون من ثلاثة أقسام:

-الزمالة :وفيها مقر الأمير وآل بيته وحاشيته.

-الدوائر :المدنيون من شعبه"النساء والأطفال والباعة والصناع."

- .المحلة :معسكر الجند المحارب ومضارب صنع السلاح ومستودعات الذخائر و المؤن[4]

د – علم الدولة:

آتخذ الأمير عبد القادر علما لدولته الناشئة، تدعيما لنفوذه وسلطته، فقد اختار لوائه على شكل قطعة من الكتان الحريري، أعلاها وأسفلها خضراوان، ووسطها أبيض مرسوم عليه بالذهب المزركش في صورة دائرة تامة[5] ، عبارة" نصر من الله وفتح قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين"، وفي وسط الدائرة يد مبسوطة مطرزة بالذهب وقد أكد على ذلك هنري تشرشل في كتابه قائلا :<<كان لواء عبد القادر الخاص هو علم كبير أبيض تتوسطه يد مفتوحة>>[6] ، وكان عبد الله بن يوسف من يتولى مهمة حملها وهي تتقدم موكب الأمير في رحلاته وجهاده.[7]

---

[1] جيلالي صاري،".دور البيئة الطبيعية في إستراتيجية الأمير عبد القادر ."، ع 75 ،الجزائر :الشركة الوطنية .للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة،. 1983 ص107

[2] بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط1 ، دار النفائس، بيروت، لبنان،.ص66

[3] إبراهيم مياسي،لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.ص35

[4] بسام العسلي، مرجع سابق .ص66

. [5] يحي بوعزيز،الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري. ط2 ،الجزائر :دار الكتاب الجزائري،. 1964 ص73

[6] شارل هنري تشرشل، مرجع سابق .ص62

[7] يحي بوعزيز، . .مرجع سابق .ص74

3 – تنظيم الجيش:

اعتنى الأمير عبد القادر بالشؤون العسكرية وأولاها اهتمامه، فكان له جيش دائم حقق له أهدافه الداخلية والخارجية ،فنجح إلى حد بعيد بفضل الأمن الذي نعمت به مقاطعاته[1]، فكان تكوين وتنظيم جيش عصري هو الأولوية التي عكف عليها الأمير في اليوم الأول لبيعته مباشرة[2] ، وذلك أن الجيش غير النظامي لا يمكن الاعتماد عليه بالدرجة الأولى إن حدث في أكثر من مرة أن قاتلت إلى جانبه القبائل ثم انسحبت لذلك قام بعقد معاهدة ديمشال في 1834 م وعقد مجلس جمع فيه رجال دولته وزعمائها وتم الاتفاق فيه على ضرورة تنظيم جيش نظامي[3] يكون مستقلا على الجيوش الأخرى التي اعتادت القبائل على تكوينها عند الحاجة بغية التغلب على الفوضى[4]

1- الجيش غير النظامي :

قبل الحديث عن الجيش النظامي يجب التلميح إلى الجيش غير النظامي باعتباره أول قوة اعتمد عليها الأمير عبد القادر.

كان الجيش غير النظامي في صفوف الأمير يتكون من المتطوعين الذين كانوا يلبون نداء الجهاد كلما دعا إليها الأمير وبلغ عددهم 53000 محارب[5]

وقد شكلت هذه القوة الجزء الأكبر من الجيش، كانت دائما السباقة بالالتحاق بالقوات النظامية إذا ما دعت الظروف لذلك و بعد انتهاء الحرب تعود هذه القوة إلى موطنها[6] ،كما كانت هذه القوات غير النظامية خلال الفترة الأولى من عمله قد بلغت حوالي 60.000 جندي وكان هذا العدد يشمل جميع الوحدات التي كانت القبائل تمدد بها في حالة الطوارئ.

---

[1]أديب حرب، المرجع السابق، ص. 72 .

[2]عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص. 84 .

[3]عبد القادر دحدوح، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية، موفم للنشر، الجزائر، 2008 ، ص. 23 .

[4]عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص، ص 84 . ،. 85

[5]بشير بلاح، المرجع السابق، ص. 176 .

[6]جمال قنان، دراسات في المقاومة والاستعمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص. 47 .

أما الفرسان غير النظاميين والأكثر تفوقا فلم يتوفر والديه.[1] ولكن الأمير سرعان ما اكتشف عدم كفاءة هؤلاء المحاربين فبدأ ينظم جيشا نظاميا لدولة عسكرية كبرى ووضع شروطا للانضمام إلى هذا الجيش من أهمها:

1 -أن يكون الجندي جزائريا مسلما عاقلا بالغا وحرا.

2 -أن يدون اسمه في الدفاتر أو السجلات الأميرية.

3 -أن يكون انضمامه انضماما نهائيا ولا ينقضه إلا إذا سلك سلوكا منافيا للدين ومخلا بالنظام العام للجيش.[2]

كان للأمير جيش نظاميا محترف بلغ عدده 16.000 جندي يصنف إلى المشاة والفرسان ورجال المدفعية ،(أنظر الملحق رقم07) [3] . كما عمد على تنظيمه فأنشأ في معسكر جيشا صغيرا حدد له رواتبه وأن منه أن يكون نواتا أولى تنظم إليها القبائل العربية في حالة الحرب ودرب مشاته ضمن كتائب متلاحمة، واستعمل في ذلك مدربين أوروبيين ليعلمهم شيئا من فنون الدقة والفن والحركة.[4]

2 -أصناف وهيكلة الجيش النظامي :

أ .المشاة أو العسكر المحمدي:

وهي مقسمة إلى كتائب تضم كل منها 1000 رجل، يقودهم أغا، وكانت هذه مقسمة إلى سرايا من100 جندي يقودها قايد ويقود كل نصفيها سياف، وكل عشرين رجل يقودهم ضابط صف ،وكل عشرة يقودهم عريف يسمى جاويش، وكان الانضباط جد صارم ويراعي تطبيقه بمنتهى الدقة وكانت مواده مجموعة في شكل قانون عام أقامه وكتبه الأمير بنفسه.[5]

ب .الفرسان أو الخيالة: وكان يتولى قيادتهم قائد يعينه الأمير ويشرف على تدريبهم وتحفيزهم بالأسلحة ويتألف هذا الصنف من كتائب تضم كل واحدة ألف فارس بقيادة

---

[1] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص. 140 .

[2] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص. 24 .

[3] رابح لونيسي، المرجع السابق، ج 2 ، ص. 38 .

[4] أ.ف .دينيزن، المصدر السابق، ص. 59 .

[5] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص. 87 .

الأغا وكل واحدة من الكتيبة فيها مجموعة من السرايا تتكون كل واحدة منها من خمسين فارسا بقيادة سياف، إضافة إلى ما يندرج من الفرسان ما يسمى الفصيلة التي تتكون من 20فارسا بقيادة رئيس صف يساعده شاويش وعلى كل ألف من الفرسان كاتب ويترأس مجموع الكتاب رئيس يسمى باش كاتب.[1]

ج .المدفعيون '' الطبجية:''

ينقسم المدفعيون إلى مجموعتين ستة منهم يديرون المدفع والستة الآخرين يستريحون مع تبادل الأدوار .وكان يتولى أمرهم رئيسهم ويساعده كاتب وكان رئيس المدفعيون باش طوبجي، وقد وصل عددهم240 عنصرا يتولون مسؤولية 20 مدفعا.[2]

د .الحرس الأميري:

وهو بدوره يتألف من مجموعة فرسان يبلغ عددهم 50 جنديا مهمتهم حراسة الأمير وتوفير الأمن له، ويتكون من جهازين:

د . 1 جهاز الطب :عبارة عن مستشفى متنقل يتألف من أربعة أطباء بإشراف طبيب عام صاحب خبرة عالية في طب العقاقير والأعشاب.

د . 2 جهاز الموسيقى :وضعه الأمير كوسيلة لرفع الروح المعنوية للجنود.[3]

هـ التراتيبية:

يتكون جيش الأمير حسب الترتيب من ضباط، ضباط الصف وجنود:

هـ . 1 الضباط:

وهم القادة الكبار لهم مكانة محترمة وزعت عليهم علامات وهي:

- **الأغا :قائد العسكر :**له علامات من ذهب اثنتان على منكبيه إحداهما مكتوب عليها "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " والأخرى صدره إحداهما كتب عليها "لا إله إلا الله" .[4]

---

[1] محفوظ قداش، جيش الأمير عبد القادر تنظيمه وأهميته، مجلة الثقافة، العدد 75 ، 1983 ، ص،ص 56 .. 60

[2] جمال قنان،دراسات في المقاومة و الاستعمار، المرجع السابق، ص. 50 .

[3] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص، ص 26 .. 27

[4] أديب حرب، المرجع السابق، ج 2 ، ص، ص 103 .. 105

- **رئيس الخيالة :**يتميز بعلامتين من الذهب إحداهما على منكبه وأخرى على صدره مكتوب عليها "محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم."
- **قائد المائة (السياف :)** له علامتان من فضة على شكل سيف.
- **رئيس الطوبجية :**يتميز بعلامة من الفضة تحمل صورة مدفع.
- **رئيس الكتاب :**له علامة من فضة على شكل ممر مكتوب عليها " ناصر الدين."
- **سياف الخيالة :**يتميز بعلامة واحدة من فضة[1]

هـ . 2 صف الضباط :يتكون من:

- رئيس الصف.
- خليفة رئيس الصف.
- الشاويش.

هـ . 3 الجنود:

كانوا يتميزون باللباس الموحد الذي يميزهم عن غيرهم من الجيش الغير نظامي[2].

و -التدريب :

إهتم الأمير بتكوين الجيش وتدريبه جيدا على أساليب القتال، واستقدم لذلك مدربين من الوطن العربي "تونس، المغرب، ليبيا " واعتمد على الفارين من الجيش الفرنسي وذوي الخبرة الخيرة من الجيش الجزائري في العهد العثماني وكان للتدريب أياما وأوقات خاصة، ودربهم على استعمال البندقية والمدفعية بالإضافة إلى الطاعة والأخلاق الحسنة.[3]

4- التنظيم الإداري:

أ- المقاطعات الإدارية:

- **تقسيم المقاطعات:**

لقد سمحت فترة السلام القصيرة التي أعقبت معاهدة التافنا للأمير عبد القادر بأن يضع اللبنات الأولى لدولته(1837 -1839) ، فأنشأ تنظيما إداريا محكما يقوم على نظام

[1]عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص30 .

[2]أديب حرب، المرجع السابق، ج 2 ، ص. 105 .

[3]نفسه، ص،ص 117 .،118

الخليفليك) (المقاطعات.)[1] وقد كان هذا التقسيم مفيدا في وصول أوامر وتعليمات الأمير إلى القاعدة الشعبية.[2] فكانت دولته في البداية مقسمة إداريا إلى مقاطعتين:

-مقاطعة تلمسان :والتي وّلى خليفة عليها هو السيد محمد البوحميدي الوهاصي، ولما توفي عين عليها الحاج مصطفي بن أحمد التهامي.

-مقاطعة معسكر :وهي خاصة بإدارة السلطة المركزية [3] وعين عليها محمد بن فريحه المهاجي.[4]

ثم بعد ذلك أضاف الأمير مقاطعات أخرى إلى دولته مكملة إلى تلمسان ومعسكر:

-مقاطعة مليانة :تحت قيادة محي الدين بن علال القليعي ثم محمد بن علال.

-مقاطعة التيطري :أشرف عليها مصطفى بن محي الدين ثم محمد البركاني.

- .مقاطعة مجانة : فأشرف عليها محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي.[5]

-مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية :كانت تحت قيادة كل من فرحات بن سعيد ثم لحسن

.بن عزوز.وتمتد من حدود الحضنة الشرقية إلى بسكرة و الواحات الشرقية.[6]

–مقاطعة برج حمزة :كانت تحت قيادة أحمد بن سالم الديسي.

-المقاطعة الخاصة بالمنطقة الغربية من الصحراء :كانت تحت قيادة قدور بن عبد الباقي كما كانت المقاطعة هي بدورها مقسمة إلى دوائر، وكل دائرة كانت تنقسم إلى وحدات إدارية صغيرة.[7]

---

[1]ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق.ص213

[2]عبد الله مقلاتي،في جذور الثورة الجزائرية (مقاومة المستعمر المستمرةمن الاحتلال الى الفاتح نوفمبر. **1954**) ج1 ، الجزائر،. 2011 ص47

[3]العربي، إسماعيل .مرجع سابق .ص20

[4]بسام العسلي، مرجع سابق .ص40

[5]عمار بوحوش، .**التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962** ،بيروت :دار الغرب الإسلامي، 1997 .ص109

[6]كمال بيرم،" . المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي "منطقة الحصنة"من .**1838 1871** ،دار الإرشاد، د س.ص 28

[7]عمار بوحوش، .مرجع سابق .ص110

- **الموظفون الإداريون (الخلفاء) :**

هم موظفون ذوو سلطة كانوا يعينون من طرف الأمير عبد القادر لمدة غير محدودة، من بين القادة المهمين لقد كانت لهم سلطة واسعة إذ يهتمون بجمع الضرائب ومراقبة الآغاوات والقياد في حالة السلم ، أما في حالة الحرب فينقلبون إلى قواد عسكريين يديرون شؤون الحرب من تنظيم العمل وتجهيز الشعب للقتال[1] ولم يكن اختيار القادة أمرا اعتباطيا يناله أي شخص في دولة الأمير بل نجده اعتمد في تعيين هؤلاء القادة أسس جيدة وقواعد ثابتة، فكان يختار العالمين بمبادئ الإسلام والشريعة والمتفوقين في ساحات القتال.[2]

لقد كان الخليفة يضع تحت تصرفه مجموعة من الآغاوات وكل آغا يتصرف بدوره في عدة قياد ولكل قايد مساعدون يعتبرون نوابه، ويكلف كل واحد منهم فرقة تتوزع على بعض الدواوير، ويكون على كل دوار شيخ على أن يكون هؤلاء الموظفون على اختلاف درجاتهم ذوي صلاحيات إدارية وقت السلم وواجبات عسكرية وقتالية وقت الحرب.[3]

كان الخليفة يقوم بأداء القسم على صحيح البخاري بأن لا يزوغ عن طريق الحق في أداء مهمته، وبعد ذلك يصدر مرسوم التعيين الذي يحرره ديوان الأمير ويختم في أعلاه بخاتم الإمارة الذي نجده على شكل دائرة كبيرة نقش في محيطها البيت التالي من قصيدة البردة للبويصري رحمه الله:

ومن تكن برسول الله نصرته ..... إن تلقه الأسد في آجامها تجم.

وفي جوانب الختم نجد مكتوب عبارات :الله، محمد، أبو بكر، عمر،عثمان،علي .وفي وسط

[1] يحي بوعزيز، . .مرجع سابق.ص77

[2] حرب،أديب التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري. .(**1808 1847**)ج2 ، ط2 ،الجزائر : دار الرائد للكتاب، د س.ص53

[3] ناصر الدين سعيدوني، .مرجع سابق .ص213

الدائرة :الواثق بالله، القوي، المتين، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين، ونجده مدون عليه التاريخ الهجري أيضا (أنظر الملحق رقم 08).[1]

ب مجلس الشورى الأعلى للأمير:

أنشأ الأمير عبد القادر مجلسا للشورى بلغ عدد أفراده أحد عشر عضوا يمثلون مناطق مختلفة، وهم السادة : أحمد بن التهامي، وعبد القادر بن ركوش، وعبد الله سقاط المشرقي، وطاهر المحفوضي، ومحمد المحفوضي، وأحمد بن الطاهر بن الشيخ المشرفي ومحمد بن المختار بن المختار الورغي والمكي الخرنوبي والمختار بن المكي والحاج عبد القادر بن ركوش الأكبر وإبراهيم بن القاضي.[2]

وقد جعل الأمير على رأسهم قاضي القضاة الجزائر السيد:أحمد بن الهاشمي المراحي نيابة عن الأمير ، وقد كان للمجلس سجل خاص تسجل فيه القضايا ثم تعرض عليه"الأمير عبد القادر "ويتولى هو مسؤولية تحضير الجلسات ويرأس المجلس بنفسه وأما عن الأحكام فتصدر باتفاق كل أفراد المجلس على نوع الحكم، وللمجلس ديوان للإنشاء الذي أنيط بعهدته هذه الأمور لضبطها وتسجيلها ويرأسه) مصطفى بن أحمد التهامي .[3](والى جانب هذا أضاف الأمير لمجالس الشورى، المجالس التمثيلية وصلاحياتها تتمثل في مساعدة الإدارة المركزية وإعانة المقاطعات على القيام بمهامها وفقا لما تنص عليه الشريعة الإسلامية، فمهمة هذه المجالس هي مهمة استشارية أكثر مما هي تشريعية وتوجيهية وهذا لا يمنع كونها تشارك في اتخاذ القرارات الهامة عندما يطلب منها الأمير أو خلفاءه ذلك.[4]

ج– مناصب الوزارات:

---

[1] بشير .بلاح، مرجع سابق .ص77 .

[2] يحي بوعزيز، . .مرجع سابق.ص72

[3] بسام العسلي، .مرجع سابق .ص37

[4] فتحي دردار، .مرجع سابق .ص71

إن الأمير عبد القادر لما استتب له الأمر شرع في تشكيل حكومة الدولة التي تتكون من مجموعة مناصب وزارية، عرف أعضاءها بخبرة فنية ومهارة علمية وسياسية وكفاءة حربية فائقة ، إلى جانب الفضائل الخلقية والدينية قبل كل شيء.[1]

وقد اتخذ الأمير من مدينة معسكر مقرا رئيسيا لها، إلا أن منصب رئيس الوزراء فقد احتفظ به لنفسه الأمير عبد القادر -ثم عين بعد الوزراء، الكتبة وهم ثلاثة حسب الحاجة ثم بعد الكتبة يأتي منصب الحاجب[2] .وعليه فإن مناصب الوزارات والتي يعبر عنها بالنظارات كانت كالأتي:

-**الوزارة الداخلية :**وأسندها إلى السيد محمد بن العربي.

-**الوزارة الخارجية :**وأسندها إلى السيد أبي محمد الحاج المولود بن عراش.

-**الوزارة المالية :**وأسندها إلى السيد أبي عبد الله الجيلاني بن فريحه.

-**وزارة الأوقاف :**وأسندها إلى السيد أبي عبد الرحمن الحاج الطاهر أبو زيد

-**وزارة الأعشار وصنوف الزكاة :**وأسندت إلى السيد أبي محمد الجيلان بن هدية.

-**الوزارة الحربية :**أسندت إلى السيد محمد بن الجيلاني.

-**وزارة الخزينة الخاصة :**ويتولاها السيد أبو سعيد محمد ابن فاخه.[3]

والى جانب هذه الوزارات هناك مراكز إدارية مهمة أضيفت إلى الوزارات وأنشأت لتسيير الأمور الخاصة، وهذه الوزارات نجدها متواجدة على المستوى المركزي وهي في الواقع عبارة عن وظائف ومهام توكل لفرد أو مجموعة من الأفراد حسب نوع العمل المطلوب وهي تتصل بالخدمات الداخلية مثل :[4]

---

[1]بسام العسلي، .مرجع سابق .ص36

[2]، مسعود مجاهد الجزائري .مرجع سابق .ص155

[3]يحي بوعزيز، .مرجع سابق.ص73

[4]فتحي دردار، .مرجع سابق.ص69

-كتابة الديوان الأميري :

وبذلك نجد الأمير عندما تمت له البيعة العامة استكتب ابن عمه السيد أحمد بن علي أبي طالب والسيد مصطفى بن التهامي في أول حكومة أقامها ، ثم نقل الاثنان لقياد مقاطعتين عسكريتين، الأول إلى فليته والثاني إلى معسكر وقد خلفهما لهذا المنصب محمد الخروبي، ثم محمد بن عبد الرحمن المرسلي، وأخيرا مصطفى بن العوني.[1]

-الملبوس الأميري :الحاج البخاري الرحاوي.

-حامل الشمسية (الراية):عبد الله بن أبي يوسف.

-مصلحة السقاية :البدرالي بن شافعية.

-مصلحة الفراش :عبد القادر بن أبي معزة.

-رئاسة الموسيقى : أبو مدين بن أبي دغس.

-مصلحة الإسطبل:محي الدين بن عبد الله

فبفضل التنظيم الوزاري المحكم لم تمض فترة قصيرة عن تأسيس الدولة حتى اشتهرت .بأنها من أفضل الوزارات التي عرفها القرن التاسع عشر.[2]

د – التنظيم القضائي:

لقد وّلى الأمير عبد القادر عناية خاصة بالقضاء في عهده وأثناء تشكيل حكومته حيث أنه لم يجعل للقضاء وزارة خاصة به، بل أشرف عليه بنفسه فعين في جميع أرجاء دولته علماء أكفاء يسهرون على الجهاز القضائي حتى يسود العدل بين الناس مستمدين أحكامهم من الشريعة الإسلامية السمحة نصا وروحا[3]، وقد بلغت به الدرجة في المحافظة على ثقة الناس بالجهاز القضائي إلى إرسال المنادين (البراحين) إلى الأسواق والى مواطن القبائل ليعلنوا

[1]عبد القادر خليفة".الأمير عبد القادر من خلال الرحلة الحجازية ." مرجع سابق.ص18

[2]بسام العسلي، .مرجع سابق.ص36

[3]الصادق مزهود.تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري الى حرب التحرير الوطني. ط2 ، الجزائر :دار بهاء الدين، 2012ص234

للناس"أن كل من له شكوى على الخليفة أو الأغا أو القايد أو الشيخ فليرفعها إلى الديوان الأميري من غير وساطة، فان الأمير ينصفه من ظالمه وإن وقع ظلم على أحد ولم يرفع ظلمته إلى الأمير فلا يلومن إلا نفسه[1] "

وكان مقر السلطة القضائية والتي يمثلها قاضي القضاة" السيد أحمد بن هاشمي الوراحي "في معسكر، في حين كان القضاة الفرعيين وهم بدورهم ينقسمون إلى) قضاة الجند و القضاة المدنيون (فنجدهم مثبتين في مختلف المقاطعات الإدارية، ففي كل مقاطعة قاض يفصل في النوازل الشرعية معتمدا في ذلك على مذهب الإمام مالك مع الأخذ بعين الاعتبار المذاهب الأخرى عن التطبيق كمذهب الحنفي والإباضي.[2]

- **أنواع القضاء:**

- **القضاء المدني:**

يتولى شؤونه القضاة الشرعيون، وقد انحصر في عهد الأمير عبد القادر في القضايا المتعلقة بشؤون الأملاك العقارية والأحوال الشخصية والمواريث .5 وقد جعل لكل قاض كاتبين أكبرهما يقوم بدور المفتي"مطالعة الفتوى ودراستها على المقتضي بما جاء في المذهب المالكي ثم يقدمها إلى القاضي ليحكم بها1 ، فيبث بالثانوية ويحيل الأساسية إلى معسكر للحكم فيها.[3]

القضاء الجنائي:

يستند إلى الموظفون الإداريون وذلك على التوالي انطلاقا من الخليفة و الأغا و القايد الذي يساعده الشيخ في القبائل والعشائر، وتتمثل نوعية القضايا التي يحكمون فيها في كل جرائم

---

[1] العربي،إسماعيل".حكومة الأمير عبد القادر –إدارتها و مهامها مجلة الثقافة ."–، ع 75 ،الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة،. 1983 ص224

[2] عائشة بن ساعد، .البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر:قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2003 ص307

[3] لخضر بكاي، .دراسة لموقع تازا برج الأمير عبد القادر من خلال المصادر التاريخية و الأبحاث الأثرية رسالة لنيل الماجستير في الآثار الإسلامية:معهد الآثار،جامعة الجزائر، .2005 ص76

القانون العام كالقتل والسرقة وقطع الطرق والخيانة بالتعامل مع العدو أو الفرار إليه وكذلك الأمر بالنسبة للجنح والمخالفات.[1]

- **أهمية التنظيم القضائي:**

بفضل التنظيم المحكم للجهاز القضائي ساد الأمن والهدوء في جميع أرجاء دولة الأمير عبد القادر فاختفى الغش في الأسواق بعدما سادت الفوضى واضطراب الأمن العام وشيوع النهب والسلب عقب انهيار الإدارة التركية3 ، حتى أنه أصبح متداولا لدى الناس في ذلك الوقت" على أن أي فتاة تستطيع قطع البلاد التي تدين بالولاء للأمير بدون خوف، ولو كانت واضعة على رأسها تاج من الذهب.وهذا ما أدى إلى كسب تأييد العامة ومساندة الخاصة لهذا التنظيم .[2]

[1] عائشة بن ساعد، .مرجع سابق .ص312

[2] . ناصر الدين سعيدوني، . .مرجع سابق .ص216

اهتم الأمير بتنظيم الدولة ووضع أسس جديدة لها ونظم هياكلها، وكل ذلك على أسس إسلامية مستمدة قوانينها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفي نفس الوقت عصرية تستمد شرعيتها من الشعب، وكما كان للطرق الصوفية دورا كبيرا في مساندة الأمير إذ أن أتباع هذه الحركات التفوا حوله واعتبروا الجهاد السياسي واجب لا ينفصل عن الجهاد في سبيل الله والوطن ونشر الإسلام، كما اهتم بتنظيم جيش ليكون به اليد القوية التي ستطرب المستعمر الفرنسي خارج الوطن، وفي نفس الوقت لم يهمل الأمير كقائد حربي الجانب الأخلاقي والتعليمي لأنه يدرك أن قوة الدولة والمقاومة لا تأتي إلا بالعلم عملا بأول أمر من الله تعالى :﴿ اقْرَأْ بِّاسْمِّ رَ بِّكَ ﴾ [العلق01]

وراء كل آلة حربية أو جيش محتل مجموعة من الخطط العسكرية الإستراتيجية ،التي مكنت من استعمار العديد من الدول ومنها الجزائر .

حيث إستعملت فرنسا قوتها وإستراتيجيتها الحربية في تشكيل مخابرات قوية متوغلة في صفوف المواطنين والشيوخ ،والعناصر الفاعلين في المجتمع الجزائري، من بينهم الأمير عبد القادر.

وفي هذا الفصل نسلط الضوء على الجاسوس المخابراتي "Lion Roche" ،الذي استطاع التوغل داخل دولة الأمير عبد القادر والوصول إلى أسراره .

1-حياته :

ليون روش "Leon Roche"، أو المكنى الحاج عمر من مواليد 27 سبتمبر 1809 م (1224هـ) ،بمدينة "Gronoble" الفرنسية .[1]

من أبوين فرنسيين وتوفي في نفس المدينة سنة 1909م 1319هـ ، حيث بدأ دراسته في ثانوية "Gronoble"، وأتمها في ثانوية "Tornon" ،التي نال منها شهادة الباكالوريا سنة 1828م ،ودخل معهد الحقوق في "Gronoble"، لمدة ستة أشهر وكان واسع الطموح وميالا إلى المغامرة مما أدى بهإلى الانقطاع عن الدراسة وشروعه في التجارة ،وكلفه أحد التجار الذين اتصل بهم وهذا الأخير كان صديقا لوالده ،مما فتح أمامه زيارة كل من كورسيكا ،وسردينيا ،وكان عمره لا يتجاوز 21 سنة ، زار جل أنحاء إيطاليا الشمالية .

كان والد ليون روش اسمه الفونس ملحق بخدمات العتاد العسكري في الجزائر منذ الحملة الفرنسية في شهر جويلية 1830م ، إهتم بالعمل الفلاحي في ضواحي الجزائر، وكون مزرعة في سهل متيجة ، ونظرا لتعدد مهامه بعث إلى إبنه ليون طالبا منه الحضور إلى الجزائر لمساعدته في الفلاحة، بعد غياب دام أربعة سنوات ، وفي سنة 1832م ،بعد اثنا عشر يوما في البحر وصل ليون روش إلى الجزائر، واستقر عند أبيه في منطقة ابراهيم رايس ، كان أبوه يستحوذ على مزرعة تتسع إلى 200 هكتار ،يقوم بخدمتها الأهالي الجزائريون مما دفع بليون روش لتعلم اللغة العربية بمساعدة والده للاتصال بالعمال الجزائريين.

وبعد مرور قرابة نصف سنة تعرف ليون روش على إحدى الحضاريات ،تدعى نفيسة أرملة وكيل الحرج (وزير البحرية) ، وكانت هته المرأة تملك المقاطعة المجاورة لأبيه كان عمرها 60 سنة ،يقول ليون روش أنها كانت تربطها علاقة حب مع أحد الأوربيين فأحسنت استقباله

[1]- ليون روش : إثنان وثلاثون سنة في رجاب الاسلام ، ترجمة محمد خير محمود البقاعي ، الحمراء ، شارع الكويت ، بناية البركة ، الطابق الأول ، لبنان ، ط 1 ، ديسمبر 2011 م ، ص 12.

وصار يزورها من حين لآخر ، كان للمرأة نفيسة فتاة تحتضنها من زوجها اسمها خديجة من إمرأة جورجية ، وهي فتاة تحسن القراءة والكتابة باللغة العربية ،وهذا ما لفت انتباه ليون روش نحوها فأحبها، وكانت بينهما علاقة غزلية وطيدة ، هذا ما يخص أول اتصالات ليون روش بالأهالي الجزائريين ، أما فيما يخص احتكاكه بالأوربيين، فقد كان يخرج للصيد مع عدد من الظباط الفرنسيين، وأدى به هذا الاحتكاك إلى التعرف بضباط البحرية أيضا.[1]

وفي منتصف سنة 1833 م، قدمه أبوه إلى الدوق قدمه أبوه إلى الدوق "Diro Figo"، حاكم الجزائر آنذاك ،والسيد "Janti" ، مسؤول المصالح المدنية ،وفي هاته الفترة انشأ الدوق "فيجو "، هيئة الحرس الوطني وعين ليون روش برتبة ملازم لفرقة الفرسان الخيالة ، وكانت هته الفرقة ترافق الجنرال في الحملات القصيرة وحسب ليون روش فقد تعرف على رئيس مجل س قضاء الجزائر، وهذا حمسه إلى تعلم اللغة العربية لغرضين ، الأول وهو تمكنه من مساعدة أبيه في الاتصال بأجرائه في المزرعة ، والغرض الثاني لتحاور مع عشيقته خديجة ، فدلته العجوز نفيسة على أستاذ مسلم جزائري الدار ، أندلسي الأصل اسمه عبد الرزاق بن بسيط ، إلا أنه لم يكن يعرف اللغة الفرنسية وليون روش يجهل اللغة العربية ، فقد استطاع ليون روش أن يتكلم مع استاذه باللغة العربية في مدة 08 أشهر حسب قوله .

ولم يكتفي ليون روش بالأستاذ فقط ، بل راح يمرن لسانه على التكلم باللغة العربية وسط المقاهي والشعب ، وصار يحضر جلسات قضاء المسلمين ويحتك بأجراء أبوه والخروج معهم إلى الصيد وأصبح يتكلم اللغة ال عربية ويفهمها ، مما زاده شغف وتعلم تقاليد وطرق الشعب الجزائري فتدعمت علاقته بهم.[2]

[1]- يوسف مناصرية : مرجع سابق ، ص ص 13-14.

[2]- نفسه ، ص 15.

لكن ليون روش ، لم ينسى العجوز نفيسة ولم يقطع علاقته وزيارته لها، لعله يسمع الأخبار عن عشيقته خديجة ، فتعرف خلال زيارته لها بأحد الجزائريين يدعى سيدي محمد بن عمر باشا، وكان هذا الرجل في حاجة ماسة لقضاء حاجة عند الحكام الفرنسيين فساعده روش ونال صداقته ، وتوطدت علاقته معه ومع عائلته حتى صارت ابنته تنادي ليون روش بعمي ، أضحى ليون يعرف اللغة العربية ويحسنها بطلاقة واندمج مع الأهالي الجزائريين وصار يتقن حتى سلوكاتهم والتعرف على جل تقاليدهم ،واحتك خاصة بطبقة العائلات المشهورة ، وكان هذا الأخير يقضي معظم وقته معهم في بيوتهم حتى ساعات متأخرة من الليل .

ومع عدم وجود مترجمين يحسنون اللغة العربية فقد ساعد هذا على ان يعين ليون روش مترجما محلفا للجنة الأفريقية الأولى، التي زارت الجزائر لتبحث في أحوال الجزائر وتقدم تقرير للحكومة الفرنسية ، وكانت مهمة روش تقتصر على شرح المصطلحات الملكية في الاسلام ، إلا أن ما تعلمه من اللغة العربية لم يكن كافي لآداء هته المهمة على أكمل وجه ، فكثف جهوده لتعلمها واتقان المصطلحات العربية ، هذا أدى به إلى قضاء معظم ليله ساهرا يفك ألغاز الأسماء القديمة والمصطلحات الاقتصادية العقارية العربية وغيرها ، هذا كان بمساعدة أستاذه عبد الرزاق الذي سهل له تناول المفردات اللغوية المتعلقة بعلم القانون والخصومات في الإسلام ، كما سبق وذكرنا شغفه بتعلم اللغة العربية وسهولة تعلمه لها فتحت أمامه باب رزق فقد كان يدرك مدى حاجة فرنسا إلى المترجمين فقد حرص على إبراز شخصيته وصار مترجما للجنة الإفريقية الأولى.[1]

2- مؤلفاته :

إن ما توصلنا إليه من خلال ما بحثنا في شخصية ليون روش نجد أن الكثير من الذين تحدثوا عن مؤ لفه كتاب تحت عنوان (إثنان وثلاثون سنة في الإسلام) ، وهو الكتاب الذي تحدث

[1]- نفس المرجع ، ص ،ص 17-18.

عنه أبو القاسم سعد الله فيما كتبه عن ليون روش ، كما ذكر يوسف مناصرية كتاب آخر لليون روش ترجمة عنوانه " عشر سنوات في الاسلام " 1834 م ، 1844م ، حيث صدر هذا الكتاب في باريس عام 1904 م .

أما فيما يخص كتابه (اثنان وثلاثون سنة في الاسلام)، هو كتاب من مجلدين يقع كل منهما في أكثر من 500 ص، وموضوع الجزء الأول خصصه " أوظاع الجزائر وحياة الأمير عبد القادر " .

أما الجزء الثاني فخصصه لمهمته في الحجاز وحياة الماريشال "Bojo" .

3- ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر :

جعل من تفانيه في تعلم اللغة العربية والدخول إلى الاسلام طريق معبد لدخول إلى إطار الجوسسة ، مما جعل المخابرات الفرنسية تكلفه بمهمة الجوسسة على الأمير عبد القادر ، فرسمت له الخطط اللازمة كما إستغلت السلطات الفرنسية معاهدة التافنة التي جاء في بندها الرابع : السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادو ، وكذا يباح للفرنسيين كذلك أن يسكنوا دولة الأمير .

من هذا المنطلق قرر ليون روش الإلتحاق بجيش الأمير عبد القادر، وبرزت مكانته وموقفه بإعتناق الدين الإسلامي، ويقول روش أن هدفه من الإلتحاق بجيش الأمير هو الوصول إلى عشيقته خديجة ،لكن هذا الأمر حسب الكتب التي إطلعنا عليها نجده ضعيف المدى فهو أراد من إلتحاقه بجيش الأمير كسب أصحاب العقول الظعيفة لمصلحة فرنسا ، حيث بدأ ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين ،بهدف جمع المعلومات الكافية حول الأمير عبد القادر ، وأعلن إسلامه مما جلب نظر الحكام كما إتصل بالمرابط سيدي بلقاسم إبن سيدي الكبير ، وأظهر له إسلامه وإستظافه هذا الاخير في منزله وفي هذه الأثناء حضر

رسول الأمير عبد القادر ، فأخبر روش سيدي بلقاسم بأنه يريد الإلتحاق بجيش الأمير عبد القادر ، فدعى له المرابط بالتوفيق ففرح روش ببلوغ مرامه ، وفي شهر نوفمبر 1837 م عاد روش إلى أولاد سيدي موسى ،وحمل متاعه إلى مليانة حيث كان يقيم صديقه عمر باشا فاستضافه وقدم له النصائح عن كيفية سيرته وأوصاه بالحذر لكي لا يجلب الشكوك حوله ، وقد فعل كل هذا لأنه يعرف أن روش إعتنق الإسلام وتظاهر به إلا من أجل عشيقته خديجة، في هذه الاثناء إتصل روش بنائب الخليفة محمد بن علال ، قدور بن ويلة وشرح له أنه يريد الإنظمام إلى جيش الأمير عبد القادر الذي فرح به ووعده أن يصطحبه بنفسه إلى معسكر الأمير وقدمه إلى الأمير واستقبله وأجرى معه حوار طلب روش منه الدخول في خدمته .[1]

نمت لدى روش موجة إعجاب بالأمير عبد القادر ،وأعجب الأمير بصدقه ،وتكفل الأمير شخصيا بتعليمه وتدريسه الأمور والأصول الإسلامية، وقواعد الدين، وما إن لبث إلا أن جعله مساعده الخاص ، إلى حين عثر والده الذي كان يبحث عنه على معسكر الأمير عبد القادر واتجه إلى إبنه روش وطلب منه العودة معه، لكن ليون روش رفض وقد أثر هذا في نفس الأمير عبد القادر تأثيرا كبيرا.[2]

وهنا بدأ روش يرتب أمور عمله لأداء مهمته الحقيقية كجاسوس وبدأ يأخذ حذره من أن يتقن عملا لصالح الأمير عبد القادر، ويرتكب بذلك جريمة ضد بلده ، وراح يجمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال ألأمير العسكرية ،والسياسية ،وغيرها ، وبعث أول رسالة من معسكر الأمير بتاريخ 19 ديسمبر 1837 م، إلى أحد الفرنسيين ولكنه لم يذكر إسمه إكتفى بعبارة (صديقي)، تضمنت هاته الرسالة وصفا دقيقا للأمير في

[1]- مرجع سابق ، ص ص 23-25.

[2]- سمير عطاء الله ، قافلة الحبر ، الرحالة الغربيون بين الجزيرة والخليج ، (1762م 1950م) ، الرياض شارع العليا العام جنوب برج المملكة ، ط 1 ، 2008 ، ص 85.

لباسه وبنيته الجسمية، وخلفيته الدينية والثقافية، وقال أنه رجل عادل يحترم دينه وتعاليمه ، ثم ذكر في مضمونها عن الحالة المدنية والعسكرية، وقال أن حالته المالية منعدمة وجيشه مشتت وضعيف المعنويات ،ونفوذه لم يعم كل القبائل ، فقد خرجت عليه قبائل الجنوب ، أما من الناحية السياسية ، قال روش لأن الأمير لايرى في معاهدة التافنة إلا فترة سلام تمكنه من تجهيز نفسه للدخول في حرب من جديد، وهو حاليا يجمع الظرائب والأموال لإعادة بناء دولته ، وفيما يخص التنظيم الإداري لدولة الأمير، أخبر روش أنه قسم الدولة إلى ثمانية إمارات، وعين على كل واحدة منها حليفة وأعطى تفاصيل حول تقسيم كل إمارة وكيفية توزيع القبائل التابعة لها .[1]

واصل روش مهمته وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية، والإستراتيجية ، وقال أن هدف الامير الأساسي هو بسط نفوذه على قبائل شرق البلاد ،وتقوية ميزانية الدولة ، وأكثر من هذا فقد ظهر روش على حقيقة أمره كجاسوس عندما راسل النقيب دوماس ، فنصل فرنسا يقول له أنه التحق بالأمير إلا لخدمة بلده ،وأنه سيفارقه ما إن يستأنف الحرب ضد فرنسا .

وما يؤكد لنا مهمة روش كجاسوس فرنسي إتصالاته الثانية مع النقيب دوماس، حيث يخبر بأن الأمير يهدف من وراء زيارته لقبائل شرق البلاد إلى تفقد قواتها قبل إستئناف الحرب من جديد ضد فرنسا ، كما بدأ روش بالإطلاع على أماكن الأمير الإستراتيجية لتخريب مواقعها وطلب من الأمير عبد القادر أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة المتمركزة في مختلف المدن ، وبلغ مراده وقضى مدة في تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة وكل ال مؤسسات الأساسية ، عمل على تحطيمها بدليل أنها لم تنتج شيئا يستحق الذكر منذ نشأتها

[1]- يوسف مناصرية : مرجع سابق ، ص 26.

، أغلب الظن أنه عمل على تخريبها بمساعدة الفارين الفرنسيين الذين كانو في خدمة الأمير.[1]

4- إنكشاف أمر الجوسسة :

في بداية عام 1838 م، أثناء إقامة ليون روش في ولاية تلمسان، حين أوفده الأمير عبد القادر ليتلقى علم القرآن وتعاليم الإسلام ، شك فيه أهلها من نواياه الحقيقية وأخبروا الخليفة البوحميدي ، ولما أحس ليون روش بالعيون تراقبه فر إلى مدينة وهران ، إلى أن وصل إلى خيام بني عامر قرب عين تموشنت ، وفي خيمة الآغا إنكشف أمره فإسترجع أدراجه إلى الخليفة البوحميدي ، ودافع ليون روش عن نفسه من تهمة الفرار إلى العدو دون إذن مسبق والخيانة العظمى التي تستحق الإعدام ، وفظلا على ذلك طلب وثيقة سفر إلى الأمير عبد القادر ليشتكي له من قسوة المعاملة التي لم تكن تليق بمكانته وإتخذ موقفه المهاجم أمام الخليفة البوحميدي وراح يعاتبه على عدم الثقة فيه رغم أنه مبعوث من طرف الأمير عبد القادر ، وأن قلبه يغمره الحب والرغبة في الإسلام، وله الحق كغيره من المسلمين من حسن المعاملة .[2]

إستطاع ليون روش بكل ثقة وحنكة سياسية وعسكرية الوصول إلى مبتغاه ومراوغة البوحميدي والأمير عبد القادر ، وفي نهاية عام 1839، سافر الأمير إلى تلمسان لتنظيم شؤون الدولة والجهاد ،دون أن يترك أوامر تخص ليون روش ، قرر روش في هذه الفترة العودة إلى الجيش الفرنسي وانتهز فرصة غياب الأمير، وأخذ كل ما يحتاجه وتوجه نحو مدينة وهران ، وخادع المسلمين بقوله أن الأمير قد بعثه في مهمة إلى مدينة مليانة ،ليتفقد مصانع الأسلحة وذلك لتجنب متابعتهم له ، إذا علموا بحقيقة أمره ، ومن بين الوثائق التي أخذها معه خريطة

[1]– نفس المرجع : ص 27- 30.

[2]– علي محمد محمد الصلابي : كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ، وسيلة الأمير عبد القادر ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص 437-438.

جغرافية الجزائر ، وجهاز بوصلة ، وخاتم الأمير عبد القادر الذي كان بحوزته بصفته كاتب الأمير ، وعدد من الرسائل إستعملها في شكل برقيات ليخدع بها كل من يعترض طريقه .[1]

5- رجوع ليون روش إلى الجيش الفرنسي :

بعدما استطاع روش جمع بعض المعلومات وبدات تظهر مهمته كجاسوس داخل المسلمين فر إلى الجيش الفرنسي .

لقد وصل روش إلى مدينة وهران في شهر نوفمبر 1839 م ،بعد أن قضى حوالي عامين مع الأمير عبد القادر وإستقبله الجنرال "Gihinoc" حاكم إقليم وهران وإستجوبه بكل إحترام ، وكان روش يعلن عن أسراره بحرارة و كانت أهم المعلومات التي قدمها تتعلق بإعلان الأمير عبد القادر للجهاد ضد فرنسا ، وأنه يجهز قواته وأكد له أن الحرب سوف تندلع في الشتاء القادم ، وبعث الجنرال برسالة إلى الماريشال "Vali" يقول فيها أنه استجوب روش وسوف يرسله إلى الجزائر لمقابلته .

وفي هذا الحين كان الأمير عبد القادر قد أعلن الجهاد في جميع المساجد، وأمر جميع المسلمين بشراء الذخيرة والأسلحة والإعداد للحرب ، ولما عرف بفرار ليون روش غضب كثيرا وأمر بمصادرة جميع ما يملك ، وفي رسالة حسب قول الجنرال "Gihinoc" سنة 1839م أرسلها إلى الماريشال "Vali" ، إن أحد عيونه أخبره أن الأمير زوج إمرأة روش إلى أحد المسلمين وسلم له منزله ، ولما وصل روش إلى الجزائر استقبله الماريشال فالي على انفراد وتلقى منه جميع المعلومات الدقيقة الخاصة بأحوال الأمير العسكرية ،والاقتصادية ،والاجتماعية، ومواقفه السياسية ،وعينه مترجما وكلفه بكتابة كل ما يعرفه عن الأمير ، وأن

[1]- يوسف مناصرية : مرجع سابق ، ص 32-33.

يعين أسماء الذين ينوون ولاءهم لفرنسا،بالإعتماد على الوثائق التي جلبها معه ، ولما وصلت تقاريره إلى باريس إستدعته الحكومة الفرنسية في شهر جانفي 1940م لمجازاته ورفع رتبته إلى مترجم من الطبقة الأولى ، وعينوه إلى جانب الدوق "Dorlin" ،وإسطحبه معه إلى الجزائر لقيادة معاركه ضد الأمير عبد القادر ، غير أن الماريشال فالي الحقه بمركز المترجمين العسكريين بالبليدة بهدف تنظيم إتصالاته مع رؤساء القبائل وجمع المعلومات ، وكلف روش إثر ذلك بعدة مهام جاسوسة في مدينة القليعة لمراقبة مسلمي الحجوط، الذين يعملون على نشر الفوضى والبلبلة في نواحي الجزائر ، وشارك في عدة حملات عسكرية مع الماريشال فالي .[1]

ولما وصل الجنرال بيجو إلى الجزائر في أواخر شهر ديسمبر 1940 م ،خلفا للماريشال فالي كان يحمل معه وصايا كثيرة من باريس ، في صالح ليون روش فقدم هذا الأخير له تفاصيل مفصلة عن الأحوال السياسية والعسكرية لإقليم الجزائر ووهران مكنته بالتخطيط بدقة لعملياته العسكرية المقبلة ضد الأمير ، ولما انتصر في حملته على معسكر تاقدامت.

وكان روش من بين الضباط الذين أثنى عليهم الجنرال في تقريره لوزير الحربية ، وبعد احتفال بيجوا بنصرته فكر في فتوى من كبار علماء المسلمين في تونس تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين وذلك لتفتيت جمع المسلمين من حول الأمير، وهو أمر تفطن له روش لأنه يعرف تعاليم وعقائد الجزائر الدينية ، ولذا عمل على اقناعهم بأن دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب ،وأن لا يرموا بأنفسهم إلى التهلكة.

وعمل روش على هاته الفتوى وبعث برسول إلى الخليفة التيجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها، وطلب منه أن يعمل على جمع كلمة رؤساء الطريقة الطيبية ، وخليفة الزيبان وأولاد سيد الشيخ ، وقد استبشر التيجاني بهته العملية التي كان يرى بأنها تبعث الهدوء في نفوس المسلمين ، كما إستدعى التيجاني خلفاء الطرق واتفق معهم على أن يطلب

[1]- يوسف مناصرية : مرجع سابق ، ص 37-39.

كل رئيس طريقته، إختيار ممثل له للتوجه إلى القيروان مع ليون روش سنة 1841م ، وخلاصة هذه الفتوى هي (يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزو بلادهم وأراضيهم بالقوة ، وذلك إن لم يؤذو هؤلاء نساءهم وأطفالهم وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم) وعمل الفرنسيون على توزيع هته الفتوى على القبائل وشاعت أخبارهم في القطر الجزائري وأعجب بها المسلمون الذين ظعفت قوتهم وفظلوا الراحة على الجهاد .[1]

وبعد ذلك أعد بيجوا خاتما نقش عليه آية من القرآن الكريم "إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" ، إستعملها في جميع مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا بإسم الدين، وأغلب الضن أن روش هو الذي اقترح ذلك على بيجو وهذا الأخير كان لا يعرف اللغة العربية ،وليس له إطلاع على كتاب الله ، واقتصرت مهمة ليون روش أيضا على مشاركة السيد دوماس في حسن إختيار بعض الاشخاص من رؤساء إقليم التيطري، الذين قدموا يمين الوفاء لفرنسا ، وواصل روش مهمته في تشتيت المسلمين من حول الأمير عبد القادر.[2]

6- نتائج مهمة ليون روش :

إذ حاولنا استخراج نتائج مهمة ليون روش كجاسوس فرنسي، من خلال الدراسة في الموضوع وما تطرقنا إليه من كتابات المؤرخين، نحاول ذكر ما توصلنا إليه ، فالفرنسيون عينوا ليون روش لغرض مهم هو ادخال عين لهم داخل دولة الأمير عبد القادر :

_أهم نقطة كانت عند شروعه كجاسوس فرنسي: تمثلت في جمع المعلومات و مراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال الأمير العسكرية ،والسياسية ،وغيرها كما كشف عن الأسرار العسكرية، والاستراتيجية .

[1]- ليون روش : مرجع سابق ، ص 22-23.

[2]- يوسف مناصرية : مرجع سابق ، ص 40.

- التعرف عن الأحوال الاجتماعية ، والإقتصادية ، والثقافية ، والدينية التي كان يمارسها الأهالي الجزاريون.
- كما عمل على تحريض التيجاني ظد الأمير عبد القادر، وقال له أن حصانة قصره هي قوة رهيبة في وجه الأمير، وستكون له حاجزا في وجهه.
- كما عمل أيضا على اضعاف قوة الامير، وطلب منه أن يجعله على رأس الكراغلة لعلمه أن معظمهم يغض الأمير ، فلم يظهر لهم روش ذلك ولكنه عمل على تبذير الذخيرة وتركهم يطلقون الرصاص في غير موضعه.
- العمل على تحطيم مصانع الأسلحة والذخيرة، بدليل أنها لم تنتج شيئا منذ نشأتها.
- وأهم نقطة كذلك توصل إليها روش هي مصدر قوة المسلمين ومنبع حيويتهم المتمثلة في تمسكهم بالدين، فلقد كان المسلمون في الجزائر لا يملكون الاسلحة الحديثة ، ولا الذخيرة ولا أموال طائلة لشراء كل ما تحتاج إليه الحرب من تجهيزات ، وإنما كان التمسك بالدين هو القلب النابض عند جميع المسلمين .[1]
- الحصول على العديد من الوثائق من بينها ، خريطة جغرافية الجزائر، وخاتمه ، بصفته كاتب الأمير وعدد من الرسائل .
- إضعاف قوة الأمير عبد القادر الحربية، ولتفتيت عزيمة الجهاد عند المسلمين ، قام بسياغة فتوى شرعية ،تبيح لمسلمي الجزائر العيش تحت الحكم الفرنسي بالإتفاق مع مقدمي الطرق الصوفية بالجزائر.[2]

[1]- يوسف مناصرية : مرجع سابق ، ص 33.

[2]- ليون روش : مصدر سابق ، ص 32.

تطرقنا تدريجيا إلى حياة ليون روش، ومجيئه إلى الجزائر، وتوغله في صفوف جيش الأمير عبد القادر، واستغلال اتقانه للغة العربية لدرجة الوصول إلى كاتب الأمير عبد القادر.

وصار بين يديه اسرار العديد من المناطق والخطط العسكرية الاستراتيجية ،واسماء الشخصيات المقربة من الأمير، كما إستحوذ على العديد من الوثائق والرسائل والخرائط مكنته من تأدية مهمته على أكمل وجه لصالح الجيش الفرنسي .

إلا أنه أكتشف أمره في آخر المطاف، وهرب إلى الجيش الفرنسي ،رغم أنه قام بمهمته بأسلوب مراوغ وادعاء دخوله الإسلام واتباعه عشيقته خديجة .

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر من أبشع أنواع الحركة الاستعمارية القديمة، و إن كان تحفظنا على لفظ الاستعمار ، إلا أن المصطلح الشائع سواء من الناحية القانونية أو حتى التاريخية رغم اعتراضنا عليه، إلا أن الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يكن عادي، و إنما تميز بأنه احتلال استيطاني، ارتبط برغبة فرنسا في ضم الإقليم الجزائري إليها ،و إخضاعه بكل الوسائل.

و عليه حاولنا في هذه الدراسة المتواضعة إبراز مهمة ليون روش داخل دولة الأمير عبد القادر . من المعروف أن الحملات الاستعمارية الكبرى ،كانت تسبقها و تلحقها حملات مركزة للجوسسة ،للتعرف على الأرضية التي سيتم استعمارها ، و كان عادة ما يقوم بالمهمة مجند عسكري لديه الخبرة الواسعة بالأرضية التي سيتم استعمارها.

و لكن بعد الغزو الاستعماري العسكري سرعان ما يكتشف المستعمرون أن هناك مساحات كبيرة لم يتمكنوا من غزوها ، فاحتلال الشعوب يقتضي التعرف بدقة على جغرافيتهم النفسية، و خريطة عقولهم .و هكذا بدأت المرحلة الثانية من حركة الجوسسة الاستعمارية بإرسال رجال و نساء ،حتى يتغلغلوا و ينفذوا إلى عمق أعماق النسيج الاجتماعي ،و يقدموا التقارير الدقيقة الوافية عن تجربتهم من الداخل .

و هذا ما قام به ليون روش الفرنسي، حيث ندبته الحكومة الفرنسية في بداية غزوها للجزائر ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر عدوها اللدود ،و أوزعت إليه التظاهر بالإسلام ، و أن يتوصل إلى أن يكون موضع ثقته، و محل أمانته ،ففعل ذلك و نجح ، حيث أقام مع الأمير أربع سنوات .

وفي نهاية هذه الدراسة، والتي تناولت مهمة ليون روش داخل دولة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1832 إلى غاية 1847 م، توصلنا إلى عدة نتائج ولعل من أهمها ما يلي:

-يمكن القول أن الأمير عبد القادر حاول إرساء قواعد دولته الجزائرية تنافس في ذلك الدول الحديثة وفق أسس قاعدية متينة لمقاومة قوات الاحتلال الفرنسي وإفشال المشروع الإستطاني، والخطر الاستعماري، وانعكاساته السلبية على الواقع الجزائري.

-كان اختياره بالمبايعة فرفع سيفه في الجهاد والدفاع والصبر عن الحق كما أنه قام ببناء دعائم دولته العصرية بتوفير كل وسائل الازدهار منتصرا على العدو ذاتيا وأخلاقيا واقتصاديا واجتماعيا.

- ويتبين لنا أن الأمير عبد القادر وجد أن الظروف الداخلية لبلاده في ذلك العهد الاستعماري لا تساعده على تحقيق أهدافه المسطرة، وهنا بدأ الأمير مرحلة من الجهاد وهذه المرحلة هي أخطر من جهاد السيف على أساس أن نتائجه غير آنية، فكان جهاده يقوم على الاهتمام بالتربية والتعليم للأمة المسلمة اهتماما بالغا على اعتبار أنها اغتصبت منها حقوقها وجهلت واجباتها التي سقطت فريسة أنواع عدة من الاستعمار.

.

الملحق رقم 01:صورة الأمير عبد القادر الجزائري

الملحق رقم : 02 شجرة عائلة الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري[206]

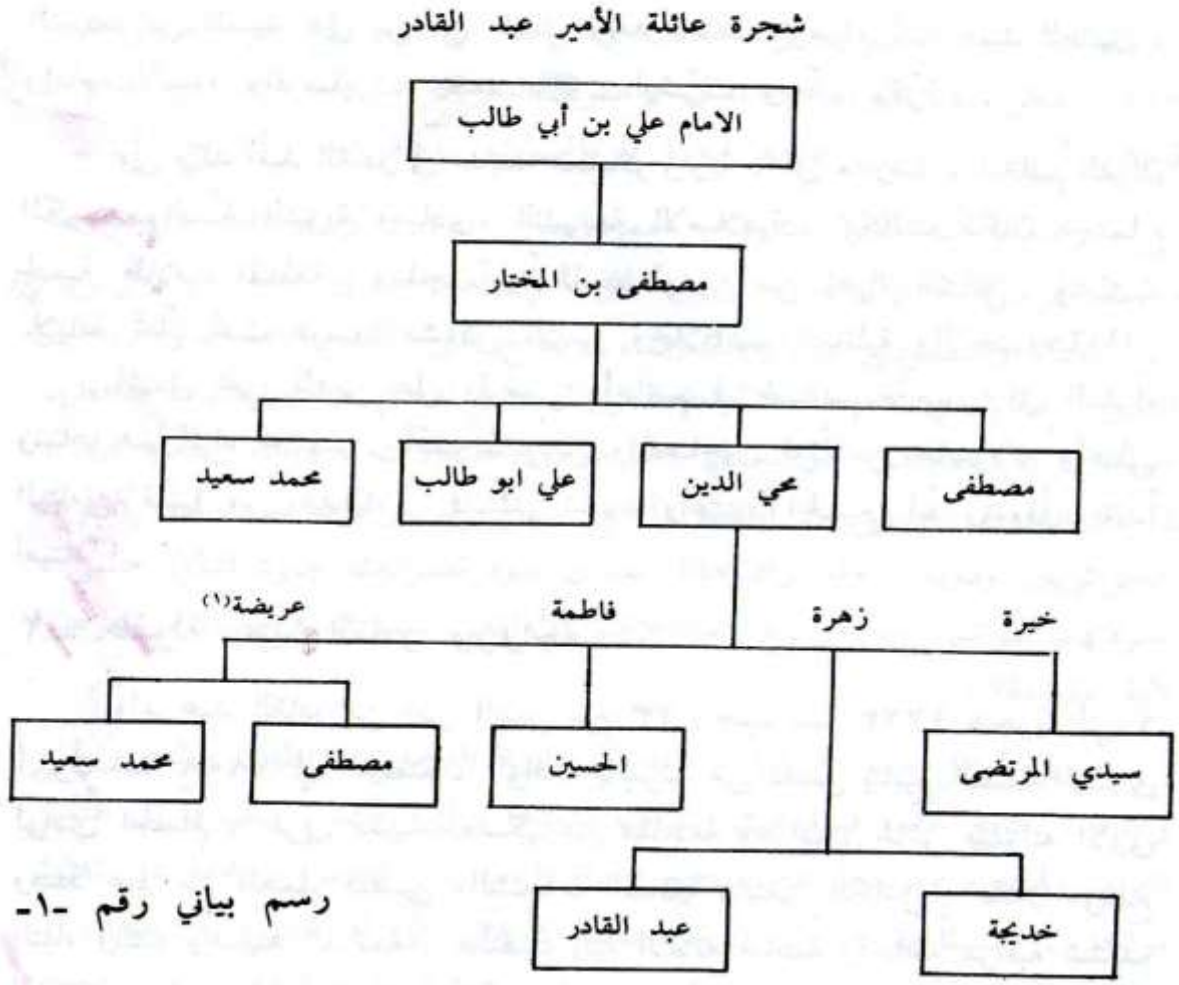

رسم بياني رقم -1-

أديب حرب، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري ، ج 1 ،ط 1 ،دار الرائد، 1983 ، ص27 .

الملحق رقم : 03 خط سير الأمير إلى البقاع المقدسة[207]

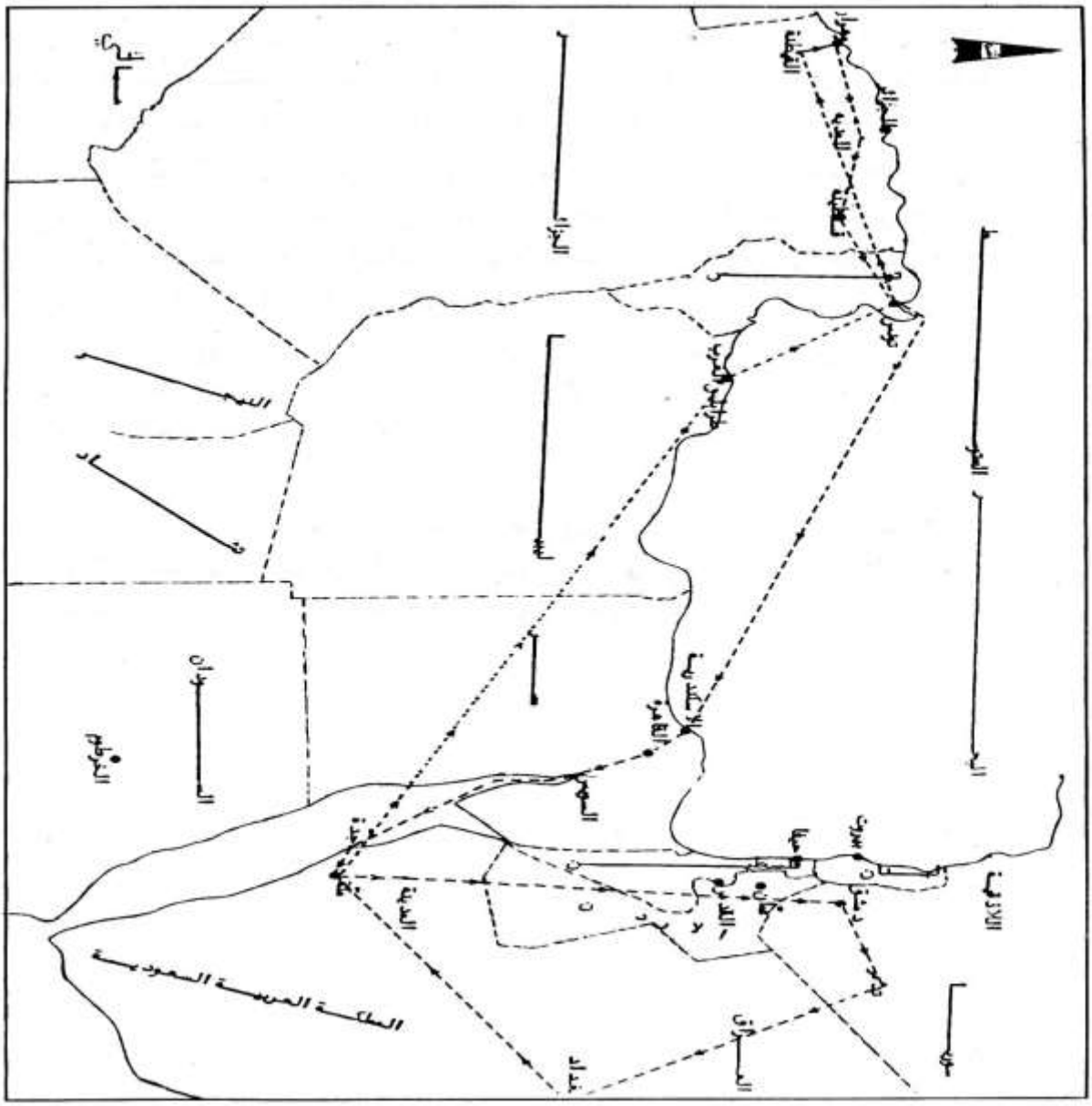

أديب حرب، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص.36.

الملحق رقم : 04 نص مبايعة الأمير عبد القادر

2-نص البيعة باللغة العربية:

«الحمد لله وحده، الصلاة والسلام على من لا بني بعده، إلى قبيلة كذا وقبيلة كذا، إن أهالي معسكر وشرق وغرب غريس وجيرانهم وخلفاءهم، بني شقران والبرجيين وبني عباس واليعقوبيين وبني عامر وبني مجاهر وغيرهم قد وافقوا بالإجماع على تعييني ، وبناء عليه انتخبوني لإدارة حكومة بلادنا، وقد تعهدوا أن يطبعوني في السراء والضراء و الرخاء والشدة وأن يقدموا حياتهم وحياة أبنائهم وأملاكهم فداء للقضية المقدسة ، ومن اجل ذلك إذن تولينا هذه المسؤولية الهامة، آملين أن يكون ذلك وسيلة لتوحيد المسلمين ومنع الفرقة بينهم وتوفير الأمن العام إلى كل أهالي البلاد ووقف كل الأعمال غير القانونية التي يقوم بها الفوضويون ضد المسلمين وصد وطرد العدو الذي اعتدى على بلاد مريدا أن يغل أعناقنا بقيوده ولقبول هذه المسؤولية اشترطنا على كل أولئك الذين منحونا السلطات العليا أن عليهم دائما واجب الخضوع في كل أعمالهم إلى نصوص وتعاليم كتاب الله إلى الحكم بالعدل في مختلف مناطقهم طبقا لسنة النبي وإن يعاملوا القوي والضعيف، النبيل والمحترم بإخلاص دون محاباة وقد قبلوا هذا الشرط، ولذلك ندعوكم إلى أن تتشاركوا في هذا العهد أو العقد بيننا وبينكم، سارعوا إذن لإعلان ولائكم وطاعتكم والله يجازيكم في الدنيا والآخرة، إن هدفي الأساسي هو الإصلاح وفعل الخير ما دمت حيا إن ثقتي باله ، ومنه هو وحده أرجوا .الجزاء والنجاح»بأمر من المدافع عن الدين صاحب السيادة علينا أمير المؤمنين عبد القادر بن محي الدين نصره الله آمين

حرر في مدينة معسكر 22 نوفمبر 1832 [208]

[208] شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص ،ص 59 ..60

1- باللغة الفرنسية [209]:

Proclamation de l'émir Abdelkader après la cérémonie de la moubayâa

«Gloire à Dieu seul, et que sa bénédiction soit sur celui après lequel il n'est plus de prophète ».

A ... (telle ou telle tribu)... et en particulier à ses nobles, cheikhs, notables, et oulemas.

Puisse Dieu vous éclairer, guider et diriger vos assemblées, favoriser vos entreprises et vos actions. Les citoyens des districts de Mascara, des Gheris Est, et Gheris Ouest, leurs voisins et alliés, les Beni Sokrane, les Borjia, les Beni Abbas, les Yacoubia, les Beni Amer, les Beni Mejaher, et autres non dénommés, sont unanimement convenus de me nommer, et, en conséquence, m'ont nommé au gouvernement de notre pays ; en s'engageant à me suivre dans la victoire comme dans la défaite, dans l'adversité comme dans la prospérité ; et à consacrer leurs personnes, leurs fils, et leurs biens à la grande et sainte cause.

En conséquence, et bien que nous nous en soyons énergiquement défendu, nous avons assumé cette lourde charge, dans l'espoir que nous pourrions être le moyen d'unir la grande communauté des Musulmans, d'éteindre leurs querelles intestines d'apporter une sécurité générale à tous les habitants de ce pays, de mettre fin à tous les actes illégaux perpétrés par les fauteurs de désordre contre les honnêtes gens, de refouler et battre l'ennemi qui envahit notre patrie dans le dessein de nous faire passer sous son joug.

Comme condition à notre acceptation, nous avons imposé, à ceux qui nous ont délégué le pouvoir suprême, le devoir de toujours se conformer, dans toutes leurs actions, aux saints préceptes et à l'enseignement du livre de Dieu, et de rendre la justice dans leurs ressorts respectifs, suivant la loi du Prophète, loyalement et impartialement, au fort et au faible, au noble et au vertueux. Ils ont souscrit à cette condition.

Nous vous invitons donc à confirmer cette promesse et le contrat passé entre eux et nous-même. En conséquence, hâtez-vous de manifester votre allégeance et votre obéissance. Puisse Dieu vous apporter la prospérité en ce monde et dans l'autre. Mon principal objet est de réformer, et de faire autant de bien qu'il s'en trouve en moi-même. Ma confiance est en Dieu ; de lui, et de lui seulement, j'attends récompense et succès.

FAIT À MASCARA, LE 2 NOVEMBRE 1832

[209]) Djamal Kharchi,Colonisation et politique d'assimilation en Algérie1830-1962 ,Casbah edition ,Alger , 2004 ,p .548

الملحق رقم :05**مخطط لعاصمة الأمير المتنقلة" الزمالة[210]. "**

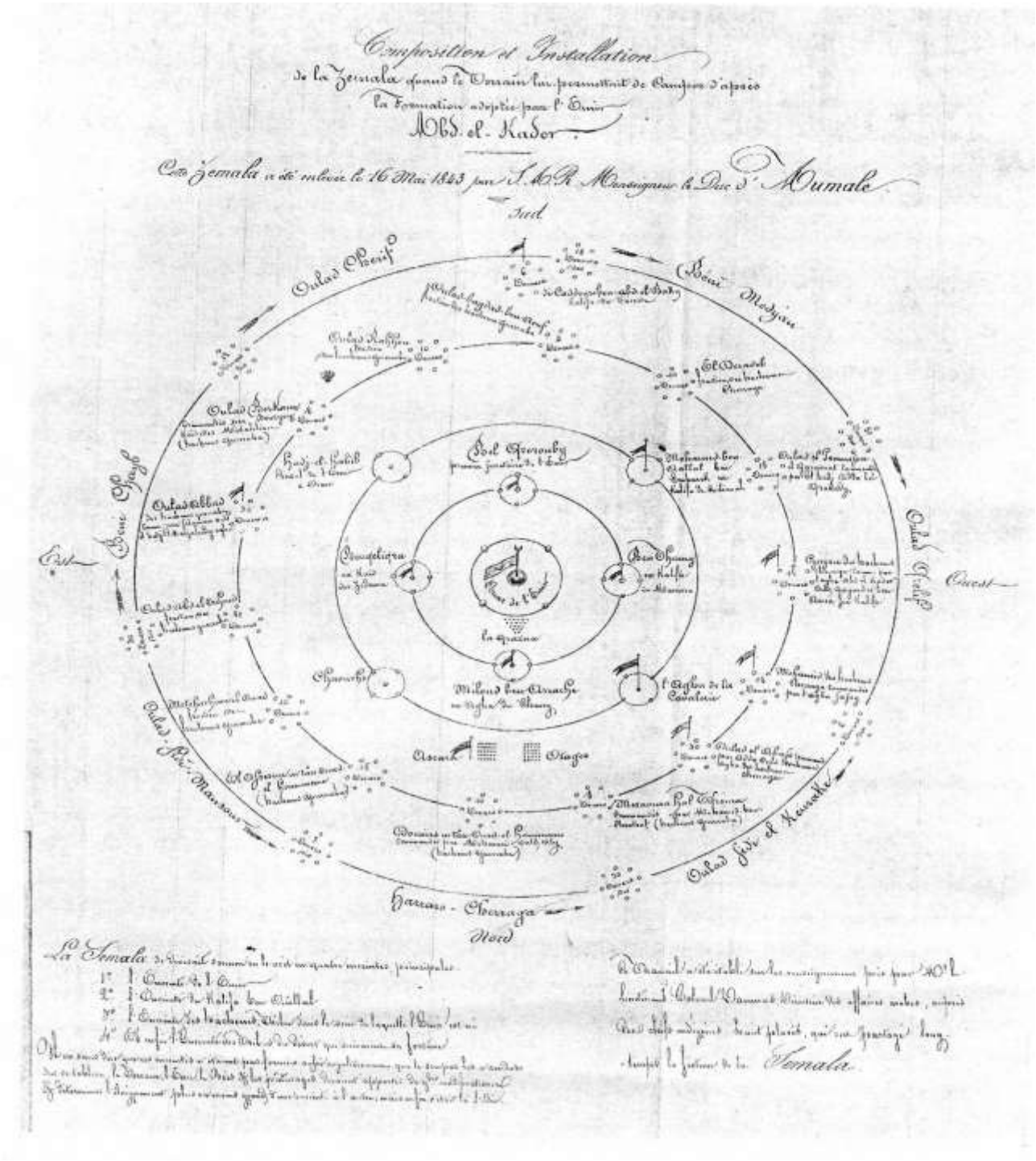

الملحق رقم 06 :خريطة تحدد مجال حدود دولة الأمير عبد القادر[211]

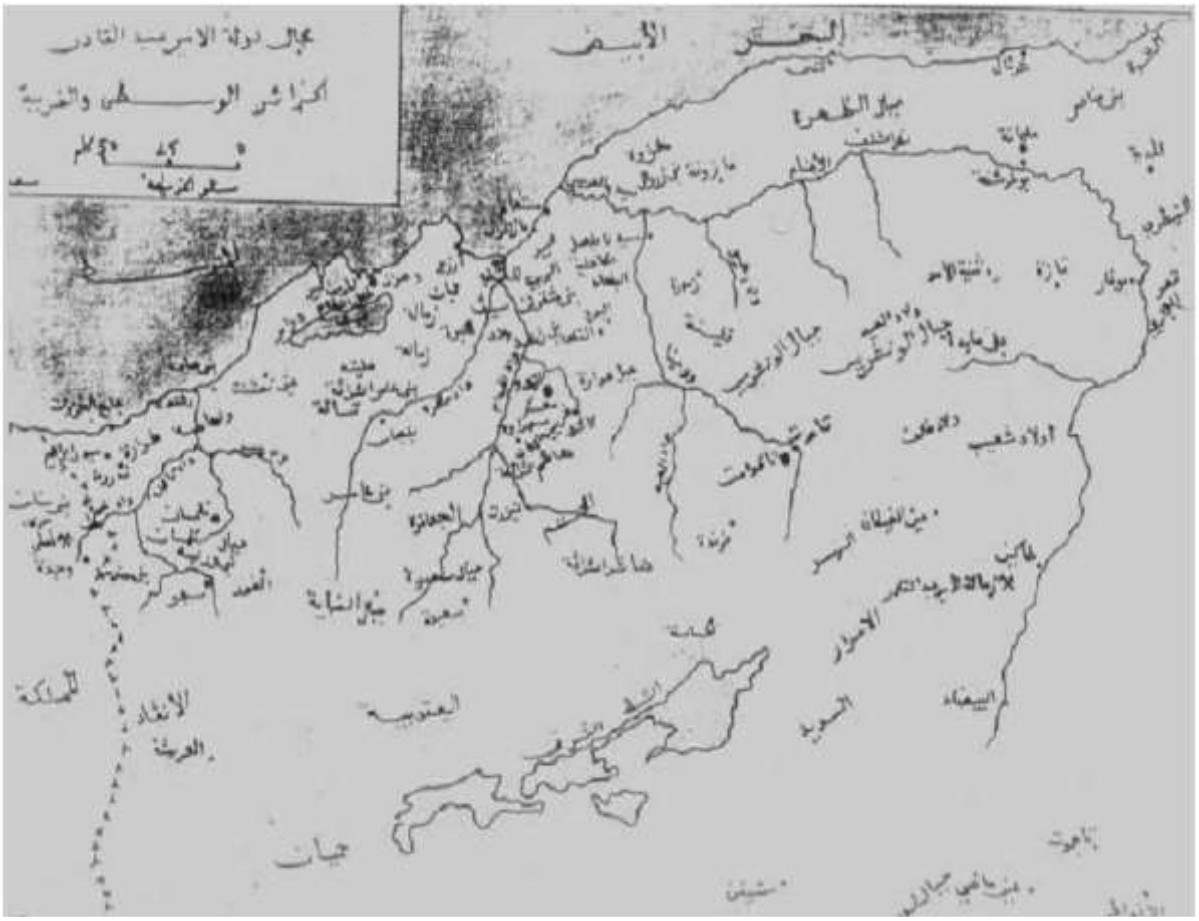

المصدر :سعيدوني، ناصر الدين.عصر الامير عبد القادر . مرجع سابق.ص354

الملحق رقم : 07 جندي من المشاة النظاميين التابعين للأمير عبد القادر

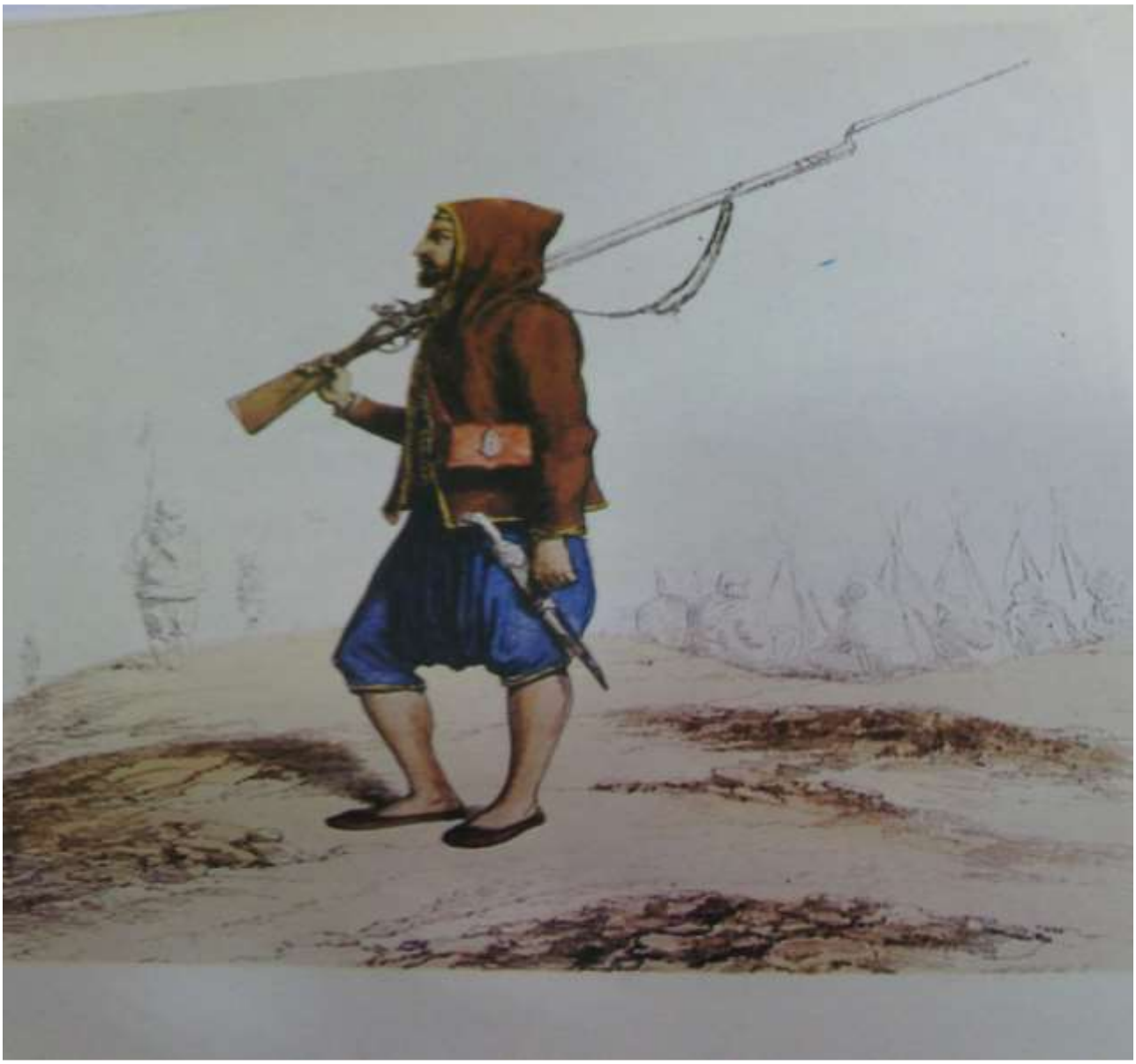

الملحق رقم 08 :شكل الخاتم الخاص بدولة الأمير عبد القادر[212]

بن تونسي،خالد .وآخرون .مرجع سابق.ص06

الملحق رقم 09: صورة للجاسوس الفرنسي ليون روش

اولا المصادر

1) حمدان خوجة ، بن عثمان، المرآة .تعريب :محمد العربي الزبيري، الجزائر :منشورات ،ANEP 2005.

2) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تح :ممدوح حقي، ج 2، ط 2 ، دار اليقظة العربية

3) خير الدين محمد ، مذكرات الشيخ خير الدين محمد، ج 1 ، الجزائر.

4) مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر،2009

ثانيا المراجع

5) سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية 1930 – 1900 ، ج 2 ، ط4 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1992 .

6) سعد الله، أبوالقاسم، تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال .الجزائر :عالم المعرفة،2009 .

7) الجزار احمد كمال ، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء والأكابر، مراجعة وتقديم، محمد زكي إبراهيم، ط1 ، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر، 1997

8) أديب حرب، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري ، ج 1 ،ط 1 ،دار الرائد، 1983

9) الحسني بديعة الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره " فكرة الأمير عبد القادر الجزائري" ، ج 3، تر :أبو القاسم سعد الله، ط 1 ،دار الوفي، الجزائر، .2002

10) بركات أنيسة ، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995 .

11) ين برونو ، عبد القادر الجزائري، تر :مشيل خوري، ط1 ، دار عطية، لبنان، .1997

12) العسيلي بسام ، الأمير عبد القادر الجزائري، ط1 ، دار النفائس، بيروت، لبنان،.1980

13) بلاسي أحمد نبيل ، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر.

14) بوزيان سعيد ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1962 - 1830 ، ج 1 ، ط 1 ، دار الأمل،الجزائر.

15) بوعزيز يحبركات محمد مراد ، الأمير عبد القادر الجزائري " المجاهد الصوفي" ، الجزائرمذكرة.
16) إيتيي ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري " سيرته الذاتية وجهاده" ، دار البصائر للنشر
17) بوعزيز يحي ، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، دار البصائر، الجزائر،. 2009
18) بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1 ، دار الصدى، الجزائر،
19) نجادي بوعلام ، الجلادون" 1962 – 1830 " ، منشورات ANCP ، الجزائر، 2007 ،
20) عبد الرحمان الجيلالي بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 3،ط7 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1989
21) //////////////////، تاريخ الجزائر العام، ج 4 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،
22) الزركلي خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ج 3 ، ط 2 .
23) لونيسي رابح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2 ، دار المعرفة، الجزائر، .2010
24) لونيسي رابح ، وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1 ، دار المعرفة، الجزائر، .2010
25) بوزيان سعيد ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر" 1962 – 1830 " ، ج 1 ، ط2 ، دار الأمل، الجزائر، 2004 .
26) سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
27) تشرشل شارل هنري ، حياة الأمير عبد القادر، تر :أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس.
28) شريط عبد الله ، والميلي محمد مبارك، الجزائر في مرآة التاريخ، ط 1 ، مكتبة البعث، الجزائر،1965
29) ضيف الله محمد الأخضر ، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، .1981
30) الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، ج4 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 .
31) جغلول عبد القادر ، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر :سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، لبنان .
32) شريط عبد الله ، محمد مبارك الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1 ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965 ،
33) إسماعيل العربي ، المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر، ط 2 ، الجزائر.

34) صلابي علي محمد محمد ،كفاح الشعب الجزائري "سيرة الأمير عبد القادر الجزائري "،دار المعرفة بيروت – لبنان ط1 2017

35) عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر، ط1 ، دار ريحانة، الجزائر، 2002 ،

36) فرانسوا مسبيرو، سانت أرنو أو الشرف الضائع، تر :أحمد بكلي، مراجعة، مسعود الحاج مسعود، طبعة خاصة، دار القصبة، الجزائر، 2005 .

37) قداش محفوظ ، جزائر الجزائريين " تاريخ الجزائر" 1954 – 1830 ، تر :محمد المعراجي، طبعة خاصة، المؤسسة الوطنية، الجزائر، .2008

38) العلوي محمد الطيب ، مظاهر المقاومة الجزائرية9541 – 1830 ، طبع المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والاشهار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، (د.ت) .

39) ، أسعد عطا الله مرفت ، التنافس البحري العسكري بين بريطانيا وفرنسا في البحر المتوسط بعد فتح قناة السويس(1869 - 1904) الإسكندرية :مركز الاسكندرية للكتاب، 2005

40) .

41) مناصرية يوسف ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب" 1847 - 1832 " ، المؤسسة الوطنية،1990.

42) طرشون نادية ، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني الجزائر، .2007

43) سعيدوني ناصر الدين ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2000 .

44) بلاسي نبيل أحمد ، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990

45) سمير عطاء الله ، قافلة الحبر ، الرحالة الغربيون بين الجزيرة والخليج ، 1962 م 1950م ، الرياض ، شارع العلياء العام ، جنوب برج المملكة ، ط 1 ، 2008.

ثالثاالمراجع باللغة الأجنبية :

Djamal Kharchi,Colonisation et politique d'assimilation en Algérie1830-1962 ,Casbah (46
edition ,Alger , 2004 .
Naylor , Phillp Chiviges, « Conflict and cooperation : Freench-Algerian Relations, (47
1962-1978", Thesis of Doctorate . Marquette University, faculty of the graduate school
of philosophy, USA, Nov 1